المذابح في أرمينيا

عنوان الكتاب : المذابح في أرمينيا

الكاتب : فائز الغصين

اختيار : مالك صقور

تقديم : حكمت إبراهيم هلال

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/117/ آذار

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

فائز الغصين

المذابح في أرمينيا

اختيار: مالك صقور

تقديم: حكمت إبراهيم هلال

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (117)

مقدمة

بقلم : حكمت إبراهيم هلال

في هذا الكتاب الذي كتبهُ الأستاذ فائز الغصين مشاهد إنسانية مؤلمة ولقطات حزينة ومبكية تكشف عن جرائم الدولة العثمانية في جريمة مذابح الأرض.

ولقد تصدى المؤلف لهذه الجريمة النكراء بشجاعة وبسالة ولم يسكت عن الحق. وبين سطور هذا الكتاب وجوه الضحايا الأبرياء. في سنة 1915م ارتكبت الدولة العثمانية المجزرة الأرمنية التي شملت الشعب الأرمني بكل طبقاته وفئاته وهي ذكرى أليمة لأبناء شعب قاسوا ألم جرح عميق ارتكبته يد الشر في كيانهم وقضت على القيم الحضارية والثقافية لهذا الشعب. وإننا نقدم هذا الكتاب

ليعبر لأخواننا العرب الشرفاء عن الوقائع والحقائق التاريخية التي سجلها تاريخ عصرنا الحاضر عن الدولة التركية البغيضة، وما تمارسه اليوم في بلدنا الحبيب. وكانت الحكومة العثمانية تثير النعرات الطائفية متخذة الدين الإسلامي واسطة للوصول لمآربها نظراً لجهل بعض المسلمين لأحكام دينهم الصحيح. وإن هذه الدراسة تسلط الضوء على المجزرة التي راح ضحيتها مليون ونصف شهيد والتي ندر مثيلها في التاريخ خططتها السلطات العثمانية ونفذتها أثناء الحرب العالمية الأولى، ولقد تبنى السلطان عبد الحميد الثاني سياسة اضطهادية مدروسة ضد الشعب الأرمني، فكانت بيوتهم عرضة للسلب والنهب والخلع والكسر، وبعدها تبدأ السرقة، ويهجمون على الجثث فيمزقون الأحشاء بحثاً عن قطعة ذهب مبتلعة ويقذفون الجثث بالآبار والحفر والأنهار.

فكانت علامات التعاسة والشقاء على وجوه هؤلاء المنكوبين فقلت في نفسي أين ذاك الجمال الذي تغنى به الشعراء، لقد أحالته يد الشر والحقد إلى أشلاء متناثرة هنا وهناك. وساقوا شرفاء الأرض سوق الخراف للذبح والطعن

ذليلين طائعين وقضوا في قمم الجبال وبطون الأرض صاغرين خاضعين، وزجّوا في الآبار والأنهار جائعين، واستباح وحوش الأتراك المحرمات وافتراس عذارى وفتيات عفيفات طاهرات وهتك نسوة مستورات مخدرات. ونكلوا بالشيوخ والأطفال من دون شفقة ولا إنصاف فكانوا كالجوارح الكاسرة والوحوش الضائرة والكلاب المسعورة، بل جعلوا الضغينة والبغي والحقد والطمع في قلوبهم. وفي تصفحك هذا الكتاب المؤثر ترى العجب العجاب من فظائع الأتراك السفاحين. والآن يعيد التاريخ نفسه بتعذيب وقتل الشعب السوري الآمن. ولقد صح فينا قول الشاعر:

ليس البلية في أيامنا عجباً

بل السلامة فيها أعجب العجب

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

كنت بدوياً أحد أبناء رؤساء عشيرة الصلوت التي تخيم في اللجاة داخل قطعة حوران وقد دخلت مدرسة العشائر في الأستانة مع من دخل من أبناء رؤساء العشائر، ثم مدرسة الملكية. وأتممت تحصيلي وخرجت بمعية والي الشام وبقيت مدة طويلة ثم كنت قائمقاماً في ولاية معمورة العزيز (خربوط) وبقيت ثلاث سنوات ونصف بتلك الوظيفة ثم كنت محامياً في دمشق وشريكي شكري بك العسلي وعبد الوهاب بك الإنكليزي. وكنت بعدها عضواً في مجلسها العمومي عن حوران ثم عضواً بلجنة المجلس المذكور. وبعد إعلان الحرب العامة كلفت بالرجوع

لمسلكي القديم أي القائمقامية فلم أقبل لأنني وجدت المحاماة أنفع من جهات وأروح.

وقد وشى بي أحد الوشاة إنني أرسل من قبل جمعية تألفت في جبل لبنان غايتها الوصول لاستقلال الأمة العربية تحت حماية الإنكليز والفرنسيين إلى العشائر كي أحرضهم. فألقت القبض علي ودخلت السجن ثم أرسلتني مكبلاً بالحديد مع ثلة من الشرطة والدرك إلى عاليه حيث يحاكم المتهمون بتهمة سياسية. وقد برأت ساحتي هناك على ما قيل لأن الحكومة لا تبغ القرار الصادر بحق المتهمين، إلا أن الحكومة التركية التي كانت معمولة على إبعاد المنَّورين من أبناء الأمة العربية وإهلاكهم مهما كلفهم الأمر، رأت من الضروري إرسالي إلى أرضروم. وقد أرسلني جمال باشا مع ضابط وخمسة من الجند النظامي. وعند وصولي إلى ديار بكر كان الروس ضيقوا على حصن قنعة في أرضروم. فأعطى أمر إلى والي ديار بكر بإبقائي هناك فأخرجت من سجن ديار بكر بعد أن بقيت فيه اثنين وعشرين يوماً بدون سبب فاستأجرت داراً وأقمت في ديار بكر ستة أشهر ونصف. رأيت وسمعت فيها جميع ما جرى

على الأرمن من أوثق المصادر. وأكثر النقلة هم من كبار المأمورين والضباط والوجهاء في ديار بكر وأعمالها وفي وان وبتليس ومعمورة العزيز وحلب وأرضروم، إذ أن أهل وان هم في ديار بكر منذ استولى الروس على بلدهم. وأهل بتليس ومأمورها قد هاجروا أخيراً كلهم إلى ديار بكر وكان يأتي كثير من ضباط أرضروم إلى ديار بكر لإشغال عسكرية أو عائلية. أما معمورة العزيزة فهي قرية من ديار بكر وكان يأتينا أناس كثيرون منها ونظراً لوجودي قبل مدة قائمقاماً بتلك الولاية كنت أعرف أناساً كثيرين هناك فكنت آخذ جميع الأخبار وخصوصاً أثناء وجودي في السجن مع كثير من رؤساء العشائر في ديار بكر، جعلني اطلع على الحركة بحذافيرها ولا بد أن تضع الحرب أوزارها بعد حين وينجلي لقراء هذا الكتاب أن كل ما كتب هو حقيقة وهو قليل من كثير من الفظائع التي ارتكبها الأتراك بحق الأمة الأرمنية المنكودة الحظ وكل آت قريب. وبعد أن أقمت هذه المدة في ديار بكر قررت منها تخلصاً من الأسر وخوفاً مما توقعت من بعض الأتراك المتعصبين، فوصلت إلى البصرة بعد أن تكبدت مشاقاً جمة

وكنت عرضة للموت والقتل مراراً. وفكرت في نشر هذا الكتاب خدمة للحقيقة ولأمة ظلمها الأتراك وخوفاً عمَّا سيرمي به الأوروبيون الدين الإسلامي من التعصب كما بينته في آخر الكتاب والله يهدينا إلى الصواب.

بيضت هذه المقدمة في بومباي ـ الهند ـ في ذي العقدة سنة 334 ـ 21 أيلول سنة 916.

فائز الغصين

تاريخ الأرمن مختصراً

كانت الأمة الأرمنية في العصور الغابرة كسائر الأمم ليس حكومة تحكمها بنفسها إلى أن أتاح الله لها رجلاً يسمى (هائيك). وكان رجلاً شجاعاً مقداماً، جمع كلمة الأرمن وشكل حكومة مستقلة في بلاد أرمينيا وذلك قبل الميلاد، وحفظت هذه الأمة استقلالها مدة غير قليلة وقد وصلت لأوج العز والنعمة في زمن ديكران، الذي اتخذ مدينة (ديكرانوكرته) ديار بكر عاصمة لحكومته، وبقيت أرمينيا محافظة على استقلالها في زمان الرومانيين وقد استولت أرمينيا على قطعة آسيا الصغرى وسوريا وقسم من بلاد العجم. ولكن بسبب حماية الأرمن لبعض الملوك المعادية للرومانيين أشهر الرومانيون الحرب عليها ودخلت الجنود الرومانية عاصمتهم. وقد أضاعت أرمينيا استقلالها من ذلك

الحين وبقيت تتراوح بين أمواج الاستبداد. فتارة تستقل وتارة تدخل تحت الحكم الأجنبي إلى أن فتحها العرب ثم الدولة العثمانية.

عدد الأرمن

أما الأرمن فإنهم لا يزيدون على 1900000 المليون وتسعمائة ألف نسمة في البلاد العثمانية. وقد نقلت هذا الإحصاء عن كتاب لأحد كتاب الأتراك وقد قال إنه نقله عن إحصاء الحكومة الرسمية. الذي قامت به قبل حرب البلقان، ويقدر الأرمن القاطنون في "الروم ايلي" بأربعمائة ألف نفس (400.000) والساكنون في آسيا العثمانية بمليون ونصف 1.500000. وأما الأرمن الذين هم في البلاد الروسية وفي بلاد الفرس، فيقال إنهم لا يزيدون على الثلاثة ملايين (3.000000) فعلى هذا يكون عدد الأرمن في المسكونية أربعة ملايين ونصف تقريباً.

أما الولايات التي يسكنها الأرمن فهي ديار بكر. وان. بتليس وأرضروم. معمورة العزيزة (خربوط)، أورفه،

سيواس، أظنه، طرابزون بورسه، اسطنبول. وكانوا يسكنون في ولايات وان وبتليس وأظنه وديار بكر وأرضروم وخربوط أكثر من الولايات الأخرى ولكنهم كانوا في جميع هذه الولايات أقل من الأتراك والأكراد إلا في وان وبتليس فإنهم يساوون الأتراك والأكراد أو يزيدون. وأما في لواء موش داخل ولاية بتليس فإنهم أكثر من الأكراد. وكانت جميع الصناعات والتجارة في تلك الأقطاع بيد الأرمن ولهم الحظ الأوفر في الزراعة. وكانوا أرقى بكثير من الأتراك والأكراد في تلك الولايات، ومدارسهم الكثيرة ومدارس مواطنيهم القليلة، دليل على رقيهم وانحطاط الآخرين.

جمعيات الأرمن

للأرمن جمعيات علمية وسياسية وأهمها جمعيتا (الطاشناقسيتون) و(الهنجاك) وكان برنامج هاتين الجمعيتين أعمال كل تأثير واتخاذ كل واسطة للوصول للغاية لا يرجع عنها الأرمن. وهذه الغاية هي الاستقلال

الإداري تحت مراقبة دول أوربا المعظمة. وقد سألت كثيراً من الأرمن الذين قابلتهم فلم أجد رجلاً قال لي إنه يريد الاستقلال السياسي، لأن الأرمن أقل من الأكراد في أكثر الولايات التي يسكنونها، فلو استقلوا لكان استفاد الأكراد أكثر منهم. والأكراد إلى الآن هم بدرجة منحطة جداً في الجهل فتصبح الفوضى ضاربة أطنابها في بلادهم فتخرب البلاد، ولذلك فهم يرجحون البقاء تحت الحكم التركي على شرط أن تكون إدارتهم تحت مراقبة أوربا المعظمة لأنهم لم يأمنوا مواعيد الأتراك الذين يأخذون اليوم ما أعطوه بالأمس. ولذلك فإن هاتين الجمعيتين تسعيان سعياً حثيثاً لنشر فكرتها بين الأرمن ولاستحصال ضالتها المنشودة بأي واسطة كانت. وقد قال لي ضباط الأرمن أن من برنامج أحد هاتين الجمعيتين استحصال غايتها بأعمال الثورات داخل البلاد ولكن سياسة الثانية هي استحصال بالوسائط السلمية.

هذا ما قدرنا أن ننقله للقراء من سياسة هاتين الجمعيتين باختصار. وقد قيل أيضاً إن برنامج أحد الجمعيتين يرمي لاستحصال استقلال الأرمن السياسي.

ومن أراد زيادة التفصيل عن تاريخ الأرمن وجمعياتها فليرجع لكتبهم التاريخية.

المذابح الأرمنية

لم يذكر التاريخ أن الأكراد مواطني الأرمن في الولايات التي يسكنها الأمتان قاموا على بعضهم وتقاتلوا أو أن الأكراد استحلوا أموال الأرمن وسبوا نساءهم إلى تاريخ 1888. فإن الأكراد قاموا بأمر من الحكومة التركية وقتلوا أناس من الأرمن في ولايات وان وخربوط وأرضروم وموشن وبتليس. وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1896 إفرنجية. لما قام الأرمن ودخلوا البنك العثماني في اسطنبول بقصد إرهاب عبد الحميد وإجباره على إعلان الدستور فإنه أمر بقتلهم باسطنبول وفي الولايات. ولم نرَ إلى الآن أن أهل البلاد العثمانية أقدمت على قتل الأرمن بصورة عامة إذا لم تجبرهم الحكومة وتحرضهم على ذلك، وقد قتل من الأرمن في هذه المذبحة أي في 25 و26 آب سنة 1896

في نفس اسطنبول (15.000) خمسة عشر ألفاً، وثلاثمائة ألف نسمة في الولايات.

وقد قتل الأرمن أيضاً في ولاية أظنة عقب إعلان الدستور بشهر. ولكن هذا القتال لم يتجاوز ولايتي اطنة وحلب حيث كان نفوذ عبد الحميد له المكان الأعلى هناك أي سنة 1909 ولم أعثر على معلومات مفصلة عن هذه المذبحة ولا عن مقدار الذين قتلوا فيها.

وقد نهبت أموال الأرمن ومواشيهم وهدمت دورهم وخصوصاً في قتال 1866 وكان كثير من مواطنيهم يحمونهم ويخفونهم في بيوتهم عن مأموري الحكومة.

وكانت الحكومة في كل الأوقات تثير الأكراد والأتراك المسلمين عليهم متخذة الدين الإسلامي واسطة للوصول لمآربها، نظراً لجهل المسلمين أحكام دينهم الصحيحة.

إلى القارئ

بيان الحكومة العثمانية

بما أن الأرمن يأتون بأمور مخالفة للقوانين وينتهزون الفرص لإقلاق الحكومة، وقد ظهر عندهم أسلحة ممنوعة وقنابل ومواد متفجرة مهيأة بقصد عمل ثورة داخل البلاد وقد قتلوا المسلمين في وان وساعدوا الجيوش الروسية، ولما كانت الحكومة بحال الحرب مع دول إنكلترا وفرنسا وروسيا فخوفاً من أن يتصدى الأرمن لعمل شغب وثورة كعادتهم، فقد قررت الحكومة جمع جميع الأرمن وسوقهم لولايتي الموصل وسوريا وللواء دير الزور على أن تكون أعراضهم وأموالهم وأنفسهم في أمان من اعتداء المعتدين وتسلط المجرمين، وقد أعطيت الأوامر اللازمة لإحضار أسباب راحتهم ولإسكانهم في تلك البلاد إلى أن تضع الحرب أوزارها.

هذا هو بيان الحكومة العثمانية الرسمي بحق الأرمن وأما قرارها الخفي فهو أن تؤلف توابير (مليس) لأجل معاونة أفراد الدرك على قتل الأرمن، وأن يقتلوا عن بكرة أبيهم وأن يكون القتل والإتلاف تحت نظارة أناس من فدائيي الاتحاديين الذين عرفوا بقساوة القلب، فعينوا رشيد بك لولاية ديار بكر وأعطوه سلطة واسعة وزودوه بشرذمة من القتلة المشهورين كأحمد بك السرري ورشدي بك وخليل بك وأمثاله.

وأسباب هذا القرار على ما قيل أن الأرمن الموجودين في أوروبا ومصر أرسلوا عشرين من فدائييهم لقتل طلعت وأنور ومن ماثلهم من صناديد الاتحاديين، فلم يفلحوا إذ أن أحد الأرمن الخائنين لأمتهم ومن محبي بدري بك مدير الأمنية العمومية في اسطنبول "وقيل عزمي بك" أخبره بالمسألة ودل على الفدائيين الأرمن الذين وصلوا لأسطنبول فألقي القبض عليهم وقتلوا هناك سراً كي لا يقال إنه يوجد أناس يسعون لقتل رؤساء الجمعية الاتحادية.

ومن الأسباب أيضاً على ما قيل إن بعض الأرمن الذين جمعتهم الحكومة من ولايتي حلب وأدرنة وساقتهم ليكملوا

خدمتهم العسكرية فروا بسلاحهم إلى الزيتون، واجتمع منهم هناك مقدار ستين شاباً وشرعوا يقاومون الحكومة ويتسلطون على المارة فساقت الحكومة قوة عسكرية مع فخري باشا، فذهب وهدم قسماً من الزيتون وقتل نساء ورجالاً وأطفالاً ولم ير فخري باشا مقاومة من الأرمن، وقد جمع الرجال والنساء وأرسلهم مع كتائب من الجند، وهذه قتلت كثيراً من رجالهم. وأما النساء فلا تسل عما جرى بهن فإن الأعراض أصبحت مباحة للجند العثماني والأطفال ماتت من العطش والجوع ولم يصل من الرجال والنساء إلى سوريا إلا كل أعرج وأعمى. لا يقدر أن يعيش نفسه. وأما الشباب فقد قتلوا جميعاً والنساء الجميلات فقد صرن سبايا لشبان الأتراك.

ونقل للزيتون مهاجرو "الروملي" وأسكنوا هناك. وقد بدل اسم الزيتون باسم رشادية حتى لا يبقى هناك شيء يذكر الأتراك باسم الأرمن. جالسين تحت خيام صغيرة صنعوها من الملاءات والبسط وغيرها وكانت حالتهم محزنة جداً وكيف لا تكون محزنة؟ وقد كان كثير من تلك النساء والرجال لم يعتادوا الجلوس إلا على الكراسي

الهزازة والفرش الناعمة في بيوت بنيت على أحسن طرز ونظمت أحسن تنظيم وفرشت أحسن تفريش. وقد رأيت كما رأى غيري، كثيراً من الأرمنيات والأرمن ضمن عجلات نقل السكة الحديدية بين حلب وحماة مكدسين بعضهم على بعض بصورة تجلب الشفقة والرحمة. وبعد أن وصلت إلى حلب وأقمت بها يومين ركبنا القطار إلى محل يقال له "عرب بوناري" وكان يرافقني خمسة من الأرمن مخفورين ومرسلين إلى ديار بكر، فسرنا ماشيين على الأقدام من ذلك المحل إلى سروج، فنزلنا خاناً كان ملآناً من نساء الأرمن وأطفالها وقليل من الرجال المرضى وكانت تلك النساء بحالة يرثى لها إذ أنهم جئن من أرضروم ماشيات على أقدامهن إلى سروج وقد وصلنَ بعد مدة طويلة، لقد تكلمت معهن بالتركية فقلن لي أن أفراد الدرك الذين كانوا معهن كانوا يجيئون بهن إلى المحال التي لا يوجد بها ماء ولا يدلوهن على الماء حتى يأخذوا منهن دراهم ثمن الماء. وكان الحاملات منهن يضعن حملهن في الطريق فيتركوهن في البراري والقفار الخالية من السكان وكانت أكثر تلك النساء يتركن أطفالهن جزعاً أو من المرض والضعف الذي

ألمَّ بهن فيعجزن عن حمل أطفالهن ويرمين بأطفالهن على الأرض. ومنهن من تمنعها الشفقة فيمتن في القفار ولا يفارقن أطفالهن. وقد قلن لي إنه كان يوجد بينهن من لم تكن تعتاد المشي ساعة على أقدامها إذ أنها نشأت بالدلال بين رجال تخديها ونساء تنادتها فأصبحن بين أيدي الأكراد الذين لا يفقهون حديثاً ولا يعيشون إلا في الجبال الشاهقة وبين الأحراش الكثيفة كالوحوش المفترسة بهتك أعراضهن فيمتن قسراً وقهراً وكثير منهن قتلن أنفسهن ولم يسلمن بأعراضهن لهؤلاء الذئاب الضارية.

ثم ركبنا عجلات من سروج وسرنا إلى الرها "أورفه" وقد رأيت بأم عيني، جماهير ماشية على أقدامها، ظننتها عن بعد جنداً سائرة لميادين الحرب. فلما قربت إذ هي نساء أرمنيات ماشيات على أقدامها حافيات حاسرات قد صففن كصفوف الجنود يمشي أمامهن وخلفهن أفراد من الدرك. وكلما تخلفت واحدة منهن يلكمها الدركي بكعب بندقيته فيرميها على وجهها فتقوم مرعوبة وتلحق برفيقاتها. وأما من تخلفت منهن عن مرض ألمَّ بها فيتركوها في البرية

وحيـدة لا معـين لهـا ولا أنـيس فتكـون طعمـة للوحـوش أو يرميها الدركي برصاصة يودي بحياتها.

فلمـا وصـلنا إلى الرهـا "أورفـه" علمنـا أن الحكومـة أرسـلت قـوة مـن الـدرك والشـرطة لحـارات الأرمـن فيهـا ، لتجميع السلاح منهم وبعدها تفعل جلدتهم إذ كانت خانات الرها ملأى بالنساء والأطفال. فلم يسلموا بسلاحهم وقابلوا القوة بالسلاح فقتلوا شرطياً وثلاثة من أفراد الدرك. فطلبت حكومة "الرهـا" قوة من حلب فجاء فخري باشا بـأمر من جمال باشا ، جلاد سوريا المشهور ، وجلب معه مدافع فجعل محلات الأرمن قاعاً صفصفاً وقتل الرجال والأطفال وكثيراً من النساء إلا التي سلمن حالهن فكان نصيبهن كنصيب أخواتهن النفي من هناك ماشيات على أقدامهن إلى دير الزور. هذا بعد أن اختار له ولضباطه الجميلات من بينهن. والأمـراض فتكـت بهـن فتـك الـذئاب بـالغنم. والأتـراك والأكـراد تهتك أعراضهن والجوع والعطش يهلك الباقيات منهن.

وبعد أن سرنا من الرها بدأنا نرى أيضاً جماهير من النساء أعياهن التعب والشقاء وأمات نفوسهن الجوع والظمأ ورأينا جثث الموتى ملقاة على حافتي الطريق.

ولما وصلنا لمحل قريب من قرية تسمى "قره جورن" تبعد ست ساعات تقريباً عن الرها نزلنا عند ماء لنشرب، فمشيت قليلاً نحو منبع الماء وإذا بمنظر تقشعر منه الأبدان وترتعد من رؤيته الفرائص وتتألم منه النفوس وإذا بامرأة ملقاة على ظهرها بدون لباس وقميصها أحمر من الدم مطلق عليها أربعة عيارات نارية أصبنها في صدرها وتحت ثدييها. فوالله إنني لم أملك نفسي من الألم و الحزن وجاشت نفسي فبكيت بكاءً مراً. ولما أخرجت محرمة لأمسح دموعي. ونظرت نحو رفاقي لأرى هل أحد منهم شعر بي أم لا، إذ رأيت طفلاً لا يتجاوز الثامنة من عمره مضروباً بفأس على أم رأسه وملقى على وجهه، فزدت بالنحيب ولكن رفاقي قطعوا بكائي فقد سمعت الضابط عارف أفندي ينادي الخوري اسحاق ويقول له تعالَ إلى هنا بالعجل فعلمت أنه رأى شيئاً أدهشه فذهبت نحوه فماذا أرى أيها القراء، ثلاثة من أطفال نائمين في الماء خوفاً على أرواحهم من الأكراد

الـذين سـلبوهم ثيـابهم بعـد أن أذاقـوهم مـن العـذاب أنواعـاً وأبواباً، ورأينـا أمهـم تئن مـن ألم الوجـع والجـوع فقصـت لنـا قصتها فقالت إنها من ولاية أرضروم وقد جاء بها الجند مع كثير من النساء إلى هذا المحل بعد أن قضين أياماً وليالي، وبعـد أن سـلبن مـا معهـن مـن مـال وثيـاب وبعـد أن اخـتير الجميلات منهن اجتمع عليهن رجال ونساء من الأكراد ونهبوا بعض ما بقي عليهن من الثياب وبقيت هي هنا لمرض أصابها فلم يفارقها أطفالها، فجاء الأكراد وأخذوا جميع ثيابهم وتركوهم عرايا هنا. وقد نام أطفالها في الماء خوفاً من الأكراد. وقد وصلت لحالة الموت فجمع الخوري ثياباً وأعطاها لتلك الامرأة والأولاد، وأرسل الضابط نفراً لمخفر الدرك الذي هو قريب من ذلك المحل وأمر الدركي الذي جاء به النفر أن يوصل هذه الامرأة والأولاد إلى الرها، وأن يدفن الجثث القريبة من المخفر وقد قالت لي الامرأة المريضة إن المرأة المقتولة لم تسلم بعرضها فقتلوها فذهبت شريفة عفيفة النفس طاهرة الذيل، وقد قتلوا ابنها بالقرب منها حتى أنها تسلم بعرضها، فآثرت المحافظة على شرفها وأن تبقى شريفة وفادت بمهجة قلبها وفلذة كبدها.

وبعد الغداء سرنا نحو "قره جورن" وقد أرانا أحد سوَّاقي العجلة أكمات عالية حولها حجارة وصخور. قال إنه هناك قتل زهراب ووارتكس وهم من أشراف الأرمن ومبعوثيهم.

كركور زهراب ووارتكس

لا أحد يجهل من هو زهراب مبعوث الأرمن عن اسطنبول. فقد طار صيته واشتهر اسمه منذ أن افتتح المجلس، فكان يخطب عن علم وترو ويدحض اعتراضات المعترضين على خطبه بحجج قوية ودلائل منطقية. كانت أقواله في المجلس هي القول الفصل أكثر الأوقات. قد كان عالماً بكل شيء وخصوصاً في علم الحقوق إذ تخرج من مدارس عالية وتعاطى المحاماة سنين عديدة. وقد أعطاه ربه طلاقة اللسان وحسن البيان وكان جريئاً لا يثنيه عن عزمه شيء ولا يرده عن مطالبه القومية أمر. ولما رأى الاتحاديون إنهم ضعيفون في العلم لا يفقهون من السياسة شيئاً، ولا

يفهمون ما هي إدارة البلاد، لا يدركون معنى الحرية والإدارة الدستورية، أقروا العودة إلى ما كان عليه أجدادهم التتار من خراب البلاد وإهلاك العباد بدون ذنب ولا سبب إذ هم قديرون على ذلك.

أرسلوا زهراب ورفيقه وارتكس من الأستانة وأمروا بإتلافهما في الطريق. وأعلنوا أن عصابة أشقياء قتلتهم، قتلوهما حتى لا يقال إن رجال الأرمن أقدر وأعلم وأكيس من رجال الأتراك. فلماذا لم تقتل تلك العصابات غير الأرمن؟ أيظنون أن السحاب يغطي عين الشمس؟

إن زهراب ووارتكس قد قتلا ضحيتي جرأتهما وأقدامهما. قد قتلا حسداً لعلمهما وحبهما للأرمن وأمتهما. قد قتلا لشباتهما على مسلكهما، قد قتلا بيد ذلك الجاني أحمد السرري أحد فدائيي الاتحاديين وهو الذي قتل زكي بك وحادثته مشهورة في الانقلاب العثماني وقد خلصه الاتحاديون من القصاص ومن الحبس أيضاً. وقد قص أحد الأكراد أن وارتكس كان من أجرأ وأشجع خلق الله وكان هو رئيس العصابات الأرمنية في زمن عبد الحميد وقد أصابته قنبلة برجله من مدفع عثماني عندما كانت الجنود

التركية تطارد العصابات الأرمنية وقد سجن وارتكس في سجن أرضروم أو في سجن "معدن" من أعمال ديار بكر وكلفه السلطان عبد الحميد بواسطة مأمورية أن يعدل عن خطته ويعلم أنه مخطئ في رأيه فيعفو عنه ويعطيه أي وظيفة أرادها فلم يقبل هذه التكاليف وردها قائلاً: "إني لا أبيع وجداني بوظيفة وأقول إن حكومة عبد الحميد عادلة حال كوني أرى ظلمها بأم عيني وألمسه بيدي".

وقيل إن الاتحاديين أمروا بقتل جميع مبعوثي الأرمن وقد قتل أكثرهم وشاع أيضاً أن ديران كليكيان ذلك الكاتب الشهير الذي كان موالياً لجمعية الاتحاد والترقي أتلف جزاء علمه واقتداره وسعة اطلاعه وموالاته لهم، فيا لها من مكافأة له عن خدمته للاتحاديين.

وعند المساء وصلنا لقره جورن فنمنا هناك إلى الصباح.

وعند طلوع الشمس سرنا نحو سيورك ولما وصلنا لمنتصف الطريق رأينا منظراً مريعاً فإن جثث القتلى كانت على حافتي الطريق بكثرة فتارة كنا نرى امرأة ممددة على الأرض وشعرها الطويل يغطي نصف جسدها، وآونة كنا

نرى نساء ملقاة على وجوههن فوق الأرض والدماء قد يبست وسودت بشرتهن الرقيقة، وتارة كنا نرى جثث الرجال وقد جفت من حرارة الشمس فغدت تحكي الفحم سواداً وكلما قربنا من سيورك كانت الجثث تتزايد وتكثر وكانت جثث الأطفال أكثر بكثير من جثث الرجال. ولما وصلنا إلى سيورك ونزلنا في العجلات رأينا خادماً من خدام الخان حاملاً طفلاً صغيراً شعره أشقر كأنه الذهب رماه خلف الخان. فسألناه عنه فقيل لنا أنه يوجد ثلاث من نساء الأرمن مرضى في الخان وقد تخلفن عن رفيقاتهن وكانت إحداهن حاملة فوضعت هذا الطفل ولم تقدر ترضعه لأنها مريضة فمات ورماه كما ترمى الفارة.

طلب الفدية

عندما كنا في سيورك قال لي عارف أفندي بعد أن ذهب لدائرة الحكومة ورجع، أن قائد الدرك ورئيس الشرطة بسيورك طلبا منه أن يسلم الخمسة أرمن الذين

كانوا معه لهما فامتنع وهما ألحًّا عليه بتسليم هؤلاء لهما وقالا له أن يدفعوا فدية عن أنفسهم خمسين ليرة كي يصلوا سالمين إلى ديار بكر. فذهبنا للخان وجلب الخوري ايساق لعنده وبلغه الأمر. فأجاب بعد أن تكلم مع رفيقاه إنهم لا يقدرون يدفعون كلهم إلا عشر ليرات لأنه لا يوجد معهم أكثر. وبعد أن قنع بكلامهم أخذ العشر ليرات وأوعد بأن يقنعهما.

وقد تنازع هذا الضابط هو وقائد الدرك في حلب لأجل أن يأخذ الخمسة أشخاص لأنهم مرسلون مع أحد أفراد الدرك ليسلمهم لدائرة الدرك في حلب وقد أراد أخذهم رئيس العصابة أحمد بك في الرها فلم يسلمهم هذا الضابط لرئيس عصابة الرها أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فأوصلهم سالمين إلى ديار بكر.

وبعد أن قضينا ليلتنا في سيورك رحلنا منها باكراً وكانت جثث القتلى تزيد كلما دنونا من ديار بكر. وفي أثناء سيرنا بين سيورك وديار بكر. صادفنا جمعاً من نساء أرمنيات سائرات نحو سيورك تحت محافظة الدرك ذليلات وآثار الحزن والكآبة ظاهرة على وجوههن وقد أعياهن

التعب والشقاء. فكانت حالة تبكي الحجارة الصماء دماً وتجلب شفقة الوحوش الكواسر.

فبالله ماذا فعلن تلك النسوة؟ هل حاربن الأتراك أم هل قتلن أحداً منهم؟ ما هي جريمة هؤلاء التعيسات اللواتي لم يكن لهن ذنب إلا أنهن كن أرمنيات عالمات بتدبير منازلهن أحسن تدبير ويربين أطفالهن أحسن تربية لا هم لهن إلا إسعاد رجالهن وأولادهن والقيام بوظائفهن تجاههم..؟

أتعد هذه جريمة أيها المسلمون؟ بالله عليكم فكروا قليلاً ما ذنب هؤلاء التعيسات؟ أهل ذنبهن أنهن سبقن التركيات بكل شيء؟

فلو فرضنا محالاً أن رجالهن كانوا أهلاً لهذه المعاملة، فهل يجوز أن تعامل هؤلاء النسوة بهذه المعاملة التي تأبى الوحوش الضارية أن تعاملن بمثلها. أما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ولا تزرُ وازرة وزر أخرى﴾. ماذا فعلت هذه النساء الضعيفات وماذا فعل أطفالهن؟

هل يأتي رجال الحكومة التركية بدليل ضعيف يجيز لهم هذا العمل ويحجون به الأمة الإسلامية التي تنكر ذلك عليهم وتأباه.

كلا والله إنهم لا يجدون كلمة واحدة يتكلمون بها أمام أمة تأسست شرائعها على العدل وبنيت أحكامها على الحكمة والعقل.

أيجوز لهؤلاء الأغرار الذين يدعون أنهم هم أركان دولة الإسلام والخلافة وهم حماة المسلمين، مخالفة أوامر الله، ومخالفة القرآن، مخالفة أحاديث رسول الله، مخالفة الإنسانية.

والله إنهم فعلوا أمراً لتأباه الإسلامية وجميع المسلمين وجميع أمم الأرض من إسلام ونصارى ويهود ومجوس والله إنه لأمر فظيع لم يسبقهم لمثله أحد من الأمم التي تعد نفسها من الأمم المتمدنة.

طفل في القفر

وبعد أن قطعنا مسافة غير قليلة من الطريق رأينا طفلاً لا يتجاوز الرابعة من عمره أبيض اللون بعينين زرقاوين وشعر ذهبي تلوح عليه آثار الترف والدلال واقفاً بالشمس لا يتحرك ولا يتكلم فأمر الضابط الحوذي أن يوقف العجلة ونزل

وحده وسأله فلم يجبه على سؤاله ولم ينبس ببنت شفة فقال: لو أخذنا هذا الطفل معنا لديار بكر لأخذته منا الحكومة وكان نصيبه كنصيب أبناء جنسه القتل فالأوفق أن نتركه لعل الله أن يحنن عليه أحد الأكراد يأخذه ويربيه. فلم يقدر أحد منا أن يكلمه بشيء وركب العجلة وسرنا وتركنا هذا الطفل كما رأيناه لا يتكلم ولا يبكي ولا يتحرك أبداً. ومن يعلم ابن أي مثر أو ابن أي من أعيان الأرمن وأشرافها كان لا يرى الشمس أصبح يتيماً بعد قتل أبويه وأقاربه وملّ الذين كانوا متكفلين بحمله وضجروا منه إذ أن كل امرأة كانت عاجزة عن حمل نفسها فتركته في أرض الله في قفر بعيد عن المدن والقرى.

فيا سبحان الله إن الإنسان الذي يشفق على الحيوان فيؤلف جمعيات الرفق بالحيوان أصبح لا يشفق على أبناء جنسه وخصوصاً على الأطفال الذين لا يقدرون يبثون شكواهم وهم على الكلام بقادرين، فيتركهم تحت حرارة الشمس ظمأى هلكا من الجوع معرضة حياتهم للوحوش.

وبعد أن تركنا ذلك الطفل وقلوبنا على جمر الغضب وقد أخذ الكدر والحزن منا كل مأخذ. وصلنا قبيل المغرب لخان يبعده عن ديار بكر بضع ساعات فبتنا فيه وفي الصباح سرنا بين أشلاء القتلى فما كنا نرى إلا رجلاً ملقى على الأرض مضروباً برصاصة تحت ثديه أو امرأة خرق الرصاص سرتها وخرج من ظهرها ، وطفلاً نائماً نومته الأبدية بجانب أمه وشابة في ريعان عمرها واضعة يدها على فخذيها خجلاً وهكذا كان طريقنا إلى أن جئنا لقناة ماء يقال لها "قره يوكار" بقرب من ديار بكر. وهناك وجدنا أن أنواع القتل والوحشية تبدلت.

رأينا أجساداً أحرقت حتى غدت رماداً فسبحان علاّم الغيوب كم من عروس لم تهنأ بعرسها وكم من شاب في زهرة شبابه وكم من شابة في ربيع شبابها اختارت لها رفيقاً يرافقها بحياتها تشاطره الأسى ويشاطرها أحرقوا في ذلك المحل المشؤوم.

وكنا ظننا أنا لا نرى من أجساد القتلى قرب جدران المدينة فخاب ظننا إذ أننا بقينا نسير بين الأجساد إلى أن دخلنا باب سور مدينة ديار بكر السوداء وقد دفنت جميع

جثث الأرمن التي بجوانب الطرق عن أمر من الحكومة بعد أن كتبت جرائد أوروبا عن هذه الجثث الملقاة في الطرق حسبما علمته من بعض الأوروبيين الذين عادوا من أرمينيا بعد المذابح.

وعند وصولنا لديار بكر سلمنا الضابط لحكومة ديار بكر وألقينا في السجن. وبقيت في سجن ديار بكر اثنين وعشرين يوماً وقفت أثناءها على الحركة بتمامها، إذ قص علي أحد المسجونين هناك وهو مسلم من أهالي ديار بكر قصة ما جرى للأرمن في ديار بكر فسألته ما سبب وقعة الأرمن؟

ترى لماذا فعلت الحكومة بهم هكذا؟ فهل فعل الأرمن أمراً أوجب تلفهم جميعاً؟ فقال أما فعله الأرمن فإنهم وخصوصاً الشباب منهم، منذ إعلان الحرب بدأوا ألا يعبأون بأوامر الحكومة، وأكثرهم فرّ من الجندية وشكلوا توابير (توابير السطوح). وبدأت هذه التوابير تأخذ دراهم من أغنياء الأرمن ليشتروا بها سلاحاً وكانوا لا يسلمون حالهم للحكومة لترسلهم لتوابيرهم حتى أن وجهاء الأرمن وزعمائهم اجتمعوا وذهبوا إلى دائرة الحكومة وطلبوا منها أن تؤدبهم لأنهم ليسوا راضين بالأعمال التي يفعلونها.

فقلت له هل قتل الأرمن أحداً من مـأموري الحكومة أو من الأكراد أو من الأتراك في ديار بكر؟ فأجاب كلا لم يقتلوا أحداً بل إنه بعد مجيء الوالي رشيد بك وقائد الدرك رشدي بك ببضعة أيام وجد عند بعض الأرمن أسلحة ممنوعة ووجد بالكنيسة أيضاً من هذه الأسلحة، جلبت بعض زعماء الأرمن وزجتهم في السجن فجاء الرؤساء الروحيون وراجعوا الحكومة وطلبوا إخلاء سبيل الزعماء فلم تجبهم الحكومة لطلبهم بل إنها أرسلت الرؤساء الروحيين إلى السجن أيضاً فبلغ عدد الوجهاء الذين أدخلوا السجن نحو السبعمائة وجيهاً. وفي أحد الأيام جاء قائد الدرك وبلغهم أنه صدرت الإدارة السامية بنفيهم إلى الموصل ليقيموا فيها إلى أن تضع الحرب أوزارها. فصفقوا بأيديهم استحساناً وكل منهم أخذ ما يلزمه من الدراهم والثياب والفرش وذهبوا ليركبوا الكلك (أخشاب توضع على قرب منفوخة يستعملها سكان تلك البلاد ويسافرون على ظهرها في نهر الفرات والدجلة). ولم يصل منهم أحد إلى الموصل ثم استمرت الحكومة على إرسال الأرمن وإتلافهم كل عائلة بعائلتها رجالاً ونساء وأطفالاً وأول من أرسل من ديار بكر عائلة قزازيان

وطرينجيان وميناسيان وكشيشيان وهذه العائلات هي أغنى عائلات الأرمن في ديار بكر وقد أرسل مع السبعمائة شخص أحد المطارنة وهو "ماندرياس" على ما أتذكر، وهو مطران الأرمن الكاثوليك، وكان شيخاً جليلاً عالماً عمره نحو الثمانين سنة فلم يحترموا لحيته البيضاء فأغرقوه في الدجلة.

وكان وكيل مطران الأرمن في ديار بكر "مغرديج" مسجوناً مع السبعمائة شخص، فلما رأى ما حلّ بقومه لم يتحمل الذل وعار السجن فكبّ على نفسه نفطاً وأحرق نفسه. وقد حدثني أحد المسلمين وكان مسجوناً لأنه كتب لهذا المطران مكتوباً قبل الوقعة بثلاث سنوات أن "مغرديج" كان عالماً شجاعاً جريئاً مقداماً لا يهاب الموت ولا يقبل الضيم والذل، يحب أمته محبة عجيبة.

وقد هجم بعض الأكراد المسجونين على الأرمن وقتلوا منهم شخصين أو ثلاثة في وسط السجن وذلك طمعاً بأموالهم وثيابهم، ولم تجرِ العدالة بحقهم معاملة ما. ولم تبقِ الحكومة الأرمن في ديار بكر إلا مقداراً قليلاً جداً وهؤلاء هم الذين يحسنون صنع الأحذية وغيرها للجيش، وقد بقي

تسعة عشر شخصاً رأيتهم في الحبس وتحادثت وإياهم مراراً عديدة وهؤلاء من فدائيي الأرمن على ما تزعم الحكومة.

وآخر من أرسل من عائلات ديار بكر عائلة دونيجيان. فقد أرسلت في شهر تشرين ثاني سنة 1915 تقريباً وكان يحميها بعض وجوه ديار بكر، إما طمعاً بمالها أو بجمال بعض نسائها.

ديكران

هو أحد أعضاء الهيئة المركزية في جمعية (الطاشناقستيون) في ديار بكر وقد حدثني عنه أحد مأموري ديار بكر ومن جمعية الاتحاد والترقي، أن الحكومة جاءت به وطلبت منه أن يخبرها عن أسماء رفقاه، فلم يقبل وقال لهم إنه لا يقدر أن يذكر أسماء الهيئة إلا بعد اجتماعها وإعطاء القرار إن كان يجوز تسميتهم للحكومة أم لا. وقد عذبته الحكومة ونوعت له العذاب كوضع الحديد في رجليه إلى أن ورمت رجلاه ولم يقدر أن يمشي عليهما وقد سحبوا أظافيره ورموش عينيه بآلة معذبة. فلم

يتكلم كلمة ولم يخبرهم عن اسم شخص واحد من رفاقه في الجمعية وقد أرسل مع من أرسل ومات شريفاً محباً لأمته وقد آثر الموت على أن يطلع الحكومة على سر من أسرار أمته الجريئة.

أغوب قايطانجيان

أغوب قايطانجيان هو أحد الأرمن الذين كانوا مسجونين بداعي أنهم الفدائيون لجمعية الأرمن في ديار بكر. وهم الذين ظهر عندهم مواد انفلاقية وكنت تحادثت معه مراراً فطلبت منه أن يقص عليّ قصته فقال بينما كان يوماً جالساً في داره إذ طرق عليه الباب أحد الشرطة قائلاً، إن مدير الشرطة يريد مقابلته في الدائرة. فذهب إلى الدائرة فبدأ بعض الشرطيين يسألونه عن جمعية الأرمن وعن فدائيي الجمعية. فأجابهم أنه لا يعرف لا جمعيات ولا فدائيين فجعلوا يعذبونه ويضربونه بالعصي وينوعون له العذاب، إلى أن يئس من الحياة وآثر الموت على البقاء في الذل، وكان معه سكين ولما شددوا عليه العذاب ولم يكن

يتحمل أكثر من ذلك طلب منهم أن يرسلوه لقضاء الحاجة ويرجع ويقص عليهم جميع ما يعرفه من أمر الأرمن. فساعده الشرطة فذهب وقطع شرايين يديه وذكره وخصيتيه بقصد الانتحار. فبدأ الدم ينزف بكثرة. فخرج ووصل باب دائرة الشرطة وهناك أغمي عليه فكبوا على وجهه ماء فصحي وجيء به لإمام الشرطة فأعاد عليه السؤال وكان ذكره لم يقطع تماماً فأخذ ذكره بيده وضرب الشرطي على وجهه به، فلما رأى الشرطي ذلك دهش من عمله وأرسله إلى المستشفى إلى أن شفي. وقد رأيت أن جروح يده قد التأمت تماماً وقص علي قصته بلسانه وقد أوصاني أن أعلن قصته في جريدة أرمنية تسمى الوطن (هايرنيك) تصدر في أميركا ليقرأها أخوه قره بت الذي هو الآن في أميركا لأنه كان يعتقد أن الحكومة لا تبقيهم في الحياة. وإنني اجتمعت كثيراً مع شباب الأرمن المسجونين وتحادثنا كثيراً عن هذه الأفعال التي لم يسمعوا ولم يقرأوا في تاريخ ما إنها جرت على أمة مثل أمتهم في سالف العصور. وقد أرسل هؤلاء الشباب ليحاكموا أمام الديوان العرفي في خربوط. وقد سمعت إنهم صلوها سالمين، وقد طلبوا أن يدخلوا في الدين

الإسلامي تخلصاً من تحقير الأكراد وليس خوفاً من الموت لأن دخولهم لا يخلصهم من الجزاء إذا ثبت إنهم يستحقون الجزاء وقد سألوني قبل ذهابهم، ما سمعت عنهم هل قصد الحكومة إتلافهم في الطريق أم لا؟ وبعد أن سألت عن ذلك وتأكدت إنهم لا يقتلون في الطريق أخبرتهم فسروا. وكان غاية ما يتمنون أن يبقوا أحياء ليروا نتيجة الحرب. وكانوا يقولون أن الأرمن أهل لأن يعاملوا بهذه المعاملة إذ أنهم لم يروا لزوماً لأخذ الحيطة من الأتراك لأنهم كانوا يعتقدون أن الحكومة التركية الدستورية لا تقدم على عمل كهذا بدون سبب أساسي. وقد فعلت الحكومة فعلتها هذه بدون أن يقتل أحد الأرمن مأموراً أو كردياً أو تركياً أو مسلماً. ولا نعلم ما هي الأسباب العظيمة التي دفعت بالحكومة حتى أقدمت على عمل أمر لم تفعله أمة. ولو إن الأرمن لم يؤخذوا على غرة لما باعوها رخيصة والأمة التي لم تأخذ تمام الحيطة فتؤخذ على غرة لجديرة باللوم.

رفقتي في الطريق

كنت في وقت إلى آخر أذهب لعند رفقتي الذين رافقوني في الطريق. وبعد خروجي من السجن، لم يسمح لي مأمور السجن بالذهاب لعندهم. وكنت أطلب أحدهم فأكلمه في غير السجن المسجونين فيه الأرمن. وبعد مدة سألت عنهم فقيل لي أنهم أرسلوا ليقتلوا كما قتل غيرهم. فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله. ويوماً من الأيام رأيت دركياً كان سجن معنا أياماً بداعي أنه سرق بعض أمتعة من متروكات الأرمن. وكان يعرف رفقتي فسألته عنهم، فقال لي أنه قتل الخوري إسحاق بيده. وكان أفراد الدرك يتراهنون على قلنسوته فأحسنت الرماية ونشلت قلنسوته ورميتها من على رأسه ورميته برصاصة ثانية أودت بحياته. فلم يكن جوابي له إلا السكوت لأنه كان يعتقد أن قتل هؤلاء أمر ضروري لأن السلطان أمر بذلك.

بيع المكاتيب

وكانت الحكومة بادئ بدء لما أرسلت السبعمائة شخص تأمر مأموريها بكتابة مكاتيب ممضية بإمضائهم وترسل بها إلى عائلات المنفيين بقصد التمويه، خوفاً أن يأتي الأرمن بأمر يعطل على الحكومة تدبيرها ويكشف سرها على بقية الأرمن فلا تقدر أن تبيدهم. وكانت عائلاتهم التعيسة تعطي دراهم كثيرة لمن يأتيها بمكتوب من كبير تلك العائلة. وقد عينت الحكومة أحد الأكراد ومن الأشقياء المشهورين، ضابطاً على المليس وأمرته بقتل الأرمن وبإيصال هذه المكاتيب. وبعد أن آمنت جانب الأرمن بعثت له من قتله وكان يسمى عمي حسن أو حسن عمي.

فتل البروتستان والكلدان والسريان

وقد عم القتل طوائف البروتستان والكلدان والسريان. ولم يبق في ديار بكر ولا شخص من البروتستان وقد أتلف ثمانين عائلة من السريان وقسماً من الكلدان في ديار بكر. أما في الملحقات فلم يخلص أحد إلا في مديات وماردين. ولما أمر أخيراً أن لا يقتل إلا الأرمن وأن لا يمس أحد من الطوائف التي ليست أرمنية كفت الحكومة يدها عن إتلاف تلك الطوائف.

أما السريان الذين في قضاء مديات فإنهم شجعان، أشجع جميع العشائر التي في تلك الجهات ولما سمعوا ما حلَّ بإخوانهم بديار بكر وحواليها اجتمعوا وتحصنوا بثلاث قرى قريبة من مديات مركز القضاء ودافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال، وأظهروا بسالة تفوق التعريف وقد أرسلت الحكومة عليهم تابورين من الجند النظامي عدا عن تابور الدرك الذي أرسل قبلاً إلى هناك. وألبت عليهم عشائر

الأكراد فلم يأخذوا منهم لاحقّاً ولا باطلاً وهكذا حموا أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من مظالم هذه الحكومة الجائرة وقد أصدرت الحكومة إرادة سلطانية بالعفو عنهم فلم يصدقوها ولم يسلموا إذ أنهم جربوها فوجدوها أكذب حكومة على وجه الأرض تأخذ اليوم ما أعطته بالأمس وتجازي اليوم من عفت عنه من قبل بأشد الجزاء.

حديث متعهد البريد البتليسي مع أحد أصدقائي وكنا جالسين في قهوة من مقاهي ديار بكر:

متعهد البريد: ــ إنني أرى كثيراً من الأرمن في ديار بكر فكيف أُبقي هؤلاء؟

صديقي: ــ إن هؤلاء ليسوا من الأرمن بل إنهم من السريان والكلدان.

المتعهد: ـ إن حكومة بتليس لم تبقِ نصرانياً واحداً في ولاية بتليس ولواء موش ولو أن طبيباً ذكر لمريض أن الدواء الذي يشفيه من مرضه قلب نصراني وفتش عليه في جميع ولاية بتليس لما وجده.

حماية الأكراد للأرمن بالأجرة

كان الأرمن مسجونين في غرفة كبيرة داخل سجن ديار بكر. وكنت من حين إلى آخر أذهب لزيارتهم. يوماً من الأيام نهضت من نومي وزرتهم في غرفتهم فرأيتهم يجمعون أرزاً وبرغلاً ودراهم. فسألتهم لماذا تجمعون هذه الحبوب والدراهم؟ فقالوا ماذا نعمل؟ فإن لم نجمع كل أسبوع مقداراً ونعطيه للأكراد يحتقروننا، ويضربوننا، فندفع هذه الأشياء لبعض الأكراد ليحمونا من تحقير أبناء جنسهم. فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ورجعت حزيناً على ما نابهم.

سوق الأرمن للقتل

أما سوق الأرمن للقتل فإنه لأمر تشيب من هوله الرؤوس وتقشعر من فظاعته الجلود. وقد نقل لي أحد أفراد الدرك في ديار بكر، كيف يساق الأرمن فقال إنه عندما

يؤمر بإخراج عائلة من الأرمن وإتلافها يأتي المأمور إلى دار هذه العائلة ويعدّها ويسلمها لقائد المليس أو لأحد ضباط الدرك. فيوضع أفراد يخفرون الدار وسكانها تلك الليلة للساعة الثامنة، ويراد بذلك إخبار تلك العائلة البائسة إنها ستلقى حتفها تلك الليلة، وإنه يجب عليها أن تتهيأ للقاء ربها وتفكر فيما سيؤول إليه أمرها. فيبدأ الحريم بالصراخ والعويل وتظهر آثار الحزن والقنوط على وجه الرجال والنساء ويموتون قبل أن يأتيهم الموت. وأما الأطفال الصغار فإنهم تارة يضحكون ويلعبون وتارة يأخذهم الرعب من بكاء آبائهم، فيجلسون أذلاء واجمين جاهلين أسباب هذا البكاء والعويل، غير أنهم سيكونون تحت التراب بعد ساعات تاركين هذه الحياة الفانية قبل أن يذوقوا من لذائذها شيئاً فيعدوها سعادة ويأسفوا على فراقها.

وبعد الساعة الثامنة يؤتى بعجلات تحمل هذه العائلات لمحل قريب فيقتلون هناك رمياً بالرصاص أو يذبحون كذبح الغنم بالسكاكين والخناجر والفؤوس.

بيع متروكات الأرمن وإنزال الصليب عن كنائسهم

بعد إهلاك الأرمن وإتلافهم جمعت أثاث دورهم والأقمشة والأمتعة والآلات وجميع الأشياء التي في دكاكينهم ومخازنهم ووضعت في كنائسهم وفي دور كبيرة وألفت الحكومة لجاناً لبيع هذه الأشياء فبيعت بأبخس الأثمان كما تباع تركات الموتى، إذ لا فرق بين هذه وتلك، إلا أن تركات الموتى تباع وتسلَّم أثمانها للورثة وهذه تباع وتسلَّم أثمانها لخزينة الدولة التركية.

لقد كنت ترى السجادة التي ثمنها ثلاثين ليرة بيعت بخمس ليرات وبدلة الرجل التي ثمنها أربع ليرات بيعت بمجيديين وقس على ذلك باقي الأشياء وخصوصاً آلات الموسيقى، مثل البيانو وأمثاله فليس لها ثمن أبداً. وأما الحلى والنقود فإنها جمعت على يد رشدي بك قائد الدرك الوالي رشيد بك فأخذها الوالي معه عندما ذهب إلى الأستانة ليسلمها بيده لطلعت بك.

ذهبت يوماً إلى الكنيسة لأرى كيف تباع هذه الأشياء. فليتني لم أذهب إذ أن الإنسان يتفتت قلبه من الحزن عندما يرى بدلة عروس بيد كردي لا يقدر قيمتها. كانت خاطتها يد الدلال والترف واختالت بها غادة هيفاء وغانية تشبه القمر جمالاً وبهاء تباع بأبخس الأثمان. وقد وضع جسم هذه الشابة اللطيف في التراب وهصر غصنها الرطيب قبل أن تأخذ حظها من الدنيا ففارقت حبيب قلبها ورفيق حياتها. وتبكي عيونه دماً ندماً عندما يرى كرسياً مزيناً يخال الإنسان إنه كان يجلس عليه شاب عشق الحقيقة وعشقته وصاحب العلم فلم يفارقه، يقضي أكثر أوقاته بمطالعة أسفار العلم لينفع به أمته ويضيء بنبراس هدايته ما أظلم عليها من الحقائق، فيباع بثمن لا يذكر.

الأمة الأرمنية، تلك الأمة الشجيعة التي أدهشت العالم بشجاعتها وإقدامها ورقيها وعلمها، التي كانت بالأمس أقوى الأمم العثمانية مراساً وأغزرهم علماً، أصبحت أثراً بعد عين كأن لم تكن بالأمس. أصبحت كتبها العلمية مبعثرة يصرّ بها الجبن والتمر، وبذور الثمر. وقد قيل لي إن أحد كبار المأمورين اشترى من الكتب التي تركها الأرمن

ما يقرب الثلاثين مجلداً فرنساوياً بخمسين قرشاً. ومدارسهم مقفلة أبوابها بعد أن كانت غاصة بالطلاب. هذه عاقبة الأرمن السيئة فليأخذ العبرة من هذه الأمة، الأمم المحكومة التي تسعى لنيل الحرية وتعلم حق العلم أن الأقوال ليست إلا بضاعة العاجزين.

وقد رأيت بأم عيني أن الصلبان أنزلت من منارات الكنائس الأرمنية التي كانت تناطح السماء سمواً. واتخذت مخازن وأسواقاً لخزن متروكاتهم وبيعها.

أنواع القتل والإتلاف

وأنواع القتل والإتلاف متنوعة، أما في ولاية بتليس فقد روى لي أحد الضباط أن الحكومة تجمع الأرمن في المتابن وتضع تبناً كثيراً في القسم الذي يلي الباب وتحرق التبن فيموت الأرمن الذين هم داخل المتبن من الدخان. وقال لي إنها كانت تضع المئات في متبن واحد بعض الأحيان وبعض الأحيان تقتلهم بصورة أخرى. وقد زادني حزناً لما قال لي إنه رأى عروساً ضمت عريسها إلى صدرها وتلقت الموت غير وجلة ودخلت المتبن.

أما في موش فقسم من الأرمن أتلف بالمتابن والقسم العظيم أتلف رمياً بالرصاص وطعناً بالسكاكين. وكانت الحكومة تستأجر قصابين، تعطي لكل واحد منهم ليرة عثمانية يومياً. وقد قص علي أحد الأطباء ويسمى عزيز بك أنه كان في قضاء مرزيفون من أعمال ولاية سيواس وعلم أن قافلة من الأرمن سترسل للقتل فذهب لعند القائمقام وقال له: تعلم أيها القائمقام إنني طبيب ولا فرق بين الجزارين والأطباء يشتغلون بتشريح الإنسان في أكثر الأوقات. ولما كانت وظائف القصابين في هذه الآونة كوظيفتنا، أي تشريح أبدان الإنسان فأرجو أن تأذن لي بالذهاب لأرى هذه العملية التشريحية بأم عيني. فرخص لي وذهبت فوجدت أربعة من القصابين، بيد كل واحد منهم مدية طويلة وأفراد الدرك يفرقون كل عشرة من الأرمن على حدة ويرسلون الواحد بعد الآخر لعند القصابين فيقول القصاب للأرمني: مد رقبتك فيمدها فيذبحه ذبح الغنم. وكان يتعجب هذا الطبيب من إقدام الأرمن على الموت دون أن يتكلموا بكلمة أو أن يظهروا خوفاً.

وكان أفراد الدرك يربطون النساء والأطفال ويلقونهم من محل عالٍ جداً إلى أسفل فلا يصلون إلى الأرض إلا قطعاً وإرباً. وهذا المحل هو بين ديار بكر وماردين على ما يقال وعظام القتلى فيه كالتلال إلى الآن.

وقال لي آخر إن حكومة ديار بكر كانت تقتل الأرمن رمياً بالرصاص وتارة بواسطة القصابين وآونة ترمي بكثير منهم في الآبار والمغاوير وتسد عليهم تلك الآبار والكهوف فيهلكون. وبعض الأحيان يرمون بهم في الدجلة والفرات. وقد فشت الحمى التمشية من هذه الأجساد. وقد قُتلَ ألفا أرمني بين نهر الدجلة [الذي] لا يبعد عن ديار بكر أكثر من نصف ساعة.

وحشية أفراد الدرك وعشائر أكراد

أما ما يحكى عن أعمال أفراد الدرك "الجاندرمة" وعشائر أكراد فحدِّث ولا حرج. فكان أفراد الدرك إذا استلموا قافلة من الأرمن يفتشونها شخصاً، رجالاً ونساء،

ويأخذون ما يجدونه من الدراهم ويشلحون الرجال والنساء ثيابهم الجيدة ويأخذونها.

وبعد أن يتيقن الدرك أنه لم يبق شيء من الدراهم والثياب الجيدة والغرض الجديدة يبيعون الآلاف من الأرمن للأكراد، بشريطة أن الأكراد لا يبقونهم أحياء ويكون الثمن نظراً لكثرة عدد الأرمن وقلتهم. فقد قال لي الثقات أن القافلة من الأرمن بيعت للأكراد بألفيّ ليرة وقافلة بيعت بستمائة ليرة وأخرى بيعت بمائتي ليرة.

ماذا يفعل الأكراد

بعد أن يشتري الأكراد القوافل من الجاندرمة يأخذون جميع الثياب التي عليهم فيبقون عرايا كما وضعتهم أمهاتهم رجالاً ونساء، ويرمونهم بالرصاص حتى يقتلوهم عن بكرة أبيهم فيشقون بطون الرجال والنساء ويفتشون عن الدراهم في أمعائهم وفي فروج النساء.

ويشقون الثياب والفرش والأحذية لكي يجدوا بها دراهم. هذه أفعال درك الحكومة الرسمية والأكراد بإخوانهم في الإنسانية. وقد يبيع أفراد الدرك هذه القوافل هرباً من التعب وطمعاً في القوافل الأخرى لأجل أن يستلموها ويسلبوها ما معها من الدراهم.

أسنان الذهب

فالويل لمن له سن من ذهب وخصوصاً قبل أن يصل إلى محل قتله، فيموت مراراً قبل الموت الحقيقي.

أحد أغوات الأكراد يقتل خمسين ألفاً من الأرمن

حدثني أحد الأكراد أن حكومة خربوط سلمت إلى أحد أغوات الأكراد في تلك الولاية في ثلاث مرات ما يزيد على الخمسين ألف شخص من أرمن أرضروم وطربزون

وسـيواس واسـطنبول، وأمرتـه أن يقتلـهم ويقـاسمهم علـى الأموال التي يأخذها. وقد قتل جميع هؤلاء الأرمن وأخذ ما معهم من الدراهم والأمتعة. وقد أجَّر ستمائة بغل لنساء من الأرمن ليوصلهن إلى أورفة، بأجرة قدرها ثلاث ليرات عن كل بغل. ولما أخذ الدراهم جمع بغال عشيرته وأركب عليها هذه النساء وجاء بها لمحل بين ملاطيه وأورفة وقتلهن شر قتلة وأخذ كل ما عندهن من الحلى والدراهم والأقمشة والمتعة الثمينة والفرش النفيسة.

فض بكارة النساء قبل الموت وبعده

وقد قيل لي إن أفراد الدرك والأكراد افتضوا بكارة بنات كثيرة من الأرمن ومن لم يقووا عليها قبل موتها فإنهم يفتضون بكارتها وهي بحال النزاع. فيا لها من فضيحة لا تغفر ووحشية لا تنكر. والله إن الوحوش لتأبى هذه الأفعال وتنكرها.

قلنا قبلاً إن نساء الأرمن ترسل زرافات برفقة أفراد الدرك وكلما مرت على قرية يأتي أهل تلك القرية فيختارون منها ما يشتهون. فيتخذون ما اختاروه من تلك النساء ويعطون الدركي دريهمات قليلة. وقد جاء أحد شيوخ الأكراد واختار فتاة تكاد أن تبلغ ربيعها السادس عشر. فقالت أنها لا تأخذه أبداً، ولكنها ترضى أن تدخل في دين الإسلام وتتزوج بشاب من سنها. فلم يقبلوا الأكراد منها وخيروها بين الموت وقبول الزواج بذلك الشيخ المتداعي. فلم تقبله فقتلوها.

بارصوم آغا

عندما كنت قائمقاماً في قضاء كاخته من أعمال ولاية خربوط صاحبت رجلاً أرمنياً من أعيان كاخته وكان يسمى بارصوم آغا. كان هذا الرجل كريماً شجيعاً وكان يكرم الأكراد والأتراك والأرمن، لا يفرق بينهم. كان يحسن على المأمورين المعزولين من وظائفهم في كاخته.

وكان جميع أغوات الأكراد هناك رقباء له، لا يحبونه لأنه كان يشاطرهم الرئاسة في تلك البلاد. فلما نفيت ووصلت إلى سيورك وعلمت بما أصاب الأرمن سألت عنه وعن أفراد عائلته، فقيل لي أنه عندما ساقت الحكومة الأرمن الموجودين في قضاء كاخته جاءت به وطلبت منه أن يسلمها دفاتر ديونه. وكان له مقدار عشرة آلاف ليرة ديناً على أهل ذلك القضاء من أكراد وأرمن. فأجابهم أنه مزق دفاتر الديون والسندات وسامح المديونين بدينه وأبرأ ذمتهم. وعندما جيء به مع سائر أهل القضاء من الأرمن ووصلوا نهر الفرات، طلب أن يغرق نفسه فأجيب إلى طلبه فسعى لإغراق نفسه فلم يفلح ولم يقدر أن يتغلب على نفسه. فقال للدرك إن الحياة لعزيزة ولم تطاوعني نفسي على الانتحار فافعلوا ما تؤمرون. فرماه أحدهم برصاصة أودت بحياته وأتلفت بقية عائلته بنفس المصير.

حديث أحد شباب الأتراك وكان قد جاء معلماً لديار بكر

نقل لي أحد شباب الأتراك أن الحكومة بلَّغت الأرمن في بروسه أنها قررت إبعادهم للموصل وسوريا والدير وإنهم سيبعدون لتلك الديار بعد ثلاثة أيام من تبلغهم الأمر. وبعد أن باعوا ما قدروا عليه واستأجروا عجلات أجرة للركوب رحلوا لأراضي وعرة جداً بعيدة عن القرى. كسروا العجلات وتركوهم في القفار وذلك حسب الأمر الذي تلقوه من الحكومة وجعلوا يأتونهم بالليل يسلبونهم دراهمهم وأمتعتهم وقد هلك كثير منهم جوعاً وخوفاً وأتلف قسم عظيم منهم في الطريق ولم يصل منهم إلى سوريا والدير إلا القليل.

وحدثني أحد عرب الجزيرة وكان رافقني أثناء فراري من ديار بكر أنه كان ذهب مع أحد شيوخ عشيرته ومعهم رجال وجمال لأجل مشترى حبوب من أبناء إبراهيم باشا المللي. وفي طريقهم رأوا سبعة عشر طفلاً لا يتجاوز أكبرهم سن الثالثة عشرة من عمره. وكانوا بحال الهلاك من العطش

والجوع. قال وكان معنا قربة صغيرة من الماء وقليل من الزاد فلما رآهم بدأ يبكي شفقة عليهم. وأخذ الماء والزاد وبدأ يسقيهم بيده واحداً بعد واحد. ويفرق عليهم الزاد، ولكن ماذا يفيدهم هذا الماء والزاد. إننا فكرنا في أمرهم فلو أخذناهم معنا إلى المللي لما كان نصيبهم إلا القتل لأن الأكراد قتلوا جميع الأرمن الموجودين في بلادهم عن أمر تلقوه من الحكومة وأعرابنا بعيدون عنا مسافة خمسة أيام عن المكان الذي وجدناهم فيه فلم نر بداً من مفارقتهم تاركينهم لشفقة الله ورحمته، وبعد رجوعنا أي بعد أسبوع وجدناهم موتى جميعهم.

حديث أحد مديري النواحي عن طفل أرمني

كنا نبحث عن شجاعة الأرمن ورقيهم وكان مدير الناحية جالساً معنا فقص علينا قصة عجيبة في بابها. قال: حسب الأمر جمعت ما بقي في ناحيتي من الأرمن وكان ما بقي فيها عبارة عن سبع عشرة امرأة وبعض الأطفال ومن

جملة الأطفال طفل في الثالثة من عمره مريض ولم يمش على رجليه إلى ذلك الحين. ولما بدأ القصاب يذبح تلك النسوة وجاء الدور لوالدة هذا الطفل فقام على رجليه وجرى شوطاً ثم وقع فأدهشنا بعمله هذا وكيف أنه فهم أن والدته ستقتل، فذهب أحد أفراد الدرك وقبض عليه ووضعه جثة بلا روح على والدته التي قتلت. وقال وأنه رأى إحدى تلك النساء دنت من القصاب تأكل خبزاً وأخرى تدخن بلفافة كانت بيدها، وكأنهما لم يحسبا للموت حساباً.

حديث شوكت بك عن طفلة أرمنية

كنت جالساً في محل وكان أحد المأمورين المكلفين بإتلاف الأرمن ويسمى شوكت بك يقص قصته على الموجودين في ذلك المحل. قال: كنت سائراً مع قافلة ولما وصلنا خارج سور ديار بكر وعندما بدأنا نطلق الرصاص على الأرمن لنقتلهم، جاء كردي وصار يقبل يدي ويطلب مني أن أعطيه طفلة عمرها عشر سنوات تقريباً. فقطعت

إطـلاق الرصـاص وأرسـلت أحـد أفـراد الـدرك أن يـأتيني بالطفلة التي قال لـي عنها الكـردي وعنـدما جاء بها أريتها محلاً وقلت لها. اجلسي هنا نسلمك لهذا الرجل تخلصين من القتل. وبعد مدة قصيرة إذ رأيتها رمت بنفسها بين القتلى من الأرمن. فـأمرت أفـراد الـدرك أن يقطعوا الرمـي ويـأتوني بهـا. ولما جاءوا بها قلت لها: إنني شفقت عليك وأخرجتك من بينهم خوفاً عليك من الموت، فلماذا ترمين بنفسك بينهم؟ اذهبي مع هذا الرجل وهـو يربيك كابنـة لـه. فقالت: إنني بنت أرمنية والدتي ووالدي وأقاربي هـم من هـؤلاء الأشـخاص المقتولين، ولا أريد أماً وأقارباً غيرهـم ولا أريـد أن أعيش بعـدهم سـاعة. وبـدأت تبكـي وتنتحـب وقـد نصـحتها كـثيراً فلـم تقبـل نصيحتي ولم ترض بالذهاب مع ذلك الرجل، فتركتها لحال سبيلها فذهبت فرحة ووضعت نفسها بين أمهـا وأبيهـا اللـذين كانـا بحالـة النـزاع فقتلـت هنـاك. وكـان يقـول: هـذا فعـل الأطفال منهم فكيف فعل الكبار.

قـال لـي أحـد الثقـات مـن ديـر الـزور أن أحـد مأموريهـا اشـترى مـن الـدرك ثـلاث بنـات كـل واحـدة بربـع مجيـدي. وحدثني آخر أنـه اشـترى شـابة جميلـة جداً بليرة واحـدة. وقـد

سمعت عند العشائر أن الأرمنيات بيعت بثمن بخس كما يباع سقط المتاع من ليرة إلى عشر ليرات ومن نعجة إلى خمس نعجات.

حديث محام مع طفلة أرمنية

كنا جالسين في مكتب أحد المحامين إذ جاءت للمكتب طفلة صغيرة وكان يعرفها المحامي ونحن لا نعرفها فقال لها المحامي: أنت إلى الآن أرمنية لم تسلمي. فقالت له: والله إنني أسلمت. وقد بدأ الاصفرار يعلو وجهها من الرعب فقال لها: كلا أنت أرمنية إلى الآن. فقالت ماذا أعمل وقد قتل أبي وأمي وإخوتي أمام عيني أما أكون مسلمة بعد ذلك. فعجبنا لذكاء هذه الطفلة وعدم نسيانها قتل أبيها وأمها وأقاربها.

حديث متصرف مع بنت أرمنية

جاءت قافلة أرمن من رأس العين إلى دير الزور فأراد المتصرف أن يختار له خادمة من بين تلك الأرمنيات. فوقع نظره على بنت جميلة دنونا منها. ولكنه عندما دنا منها اصفرَّ لونها وكادت أن تقع على الأرض. فقال لها: لا تخافي وأمر الخادم أن يأخذها لداره. وبعد أن رجع سألها عن سبب خوفها عندما اقترب منها فقالت إنها أرسلت هي وأمها من رأس العين مع نفر دركي من الشركس. وكان معهما نساء أرمنيات كثيرة. ولما وصلت تلك القافلة إلى محل من الطريق نادى الدركي أمها وطلب منها أن تعطيه دراهم وإلا قتلها. فقالت أنه لا يوجد معها دراهم. فعذبها فأعطته ست ليرات. فسألها أين كانت واضعة تلك الدراهم. فقالت له، إنها كانت وضعتها في فرجها. فقال أيتها الخائنة ألا تتركن الخيانة إنك رأيت ما حلَّ بالأرمن جمعيهم ويحل بهم ولم تعتبري. فإنني سأربي بك جميع من يراك من الأرمن. فضربها

بالخنجر على يدها فقطعها ثم قطع الثانية وقطع رجليها. كل ذلك على منظر مني ومرأي وأخذني من يدي لمحل بعيد قليلاً عن النساء وافتض بكارتي ووالدتي بحالة النزاع تنظر إلي ودموعها تسيل على خديها تأثراً علي. ولما رأيتك قربت تذكرت حالة والدتي فخفت منك ظناً بأنك ستفعل معي كما فعل ذاك الدركي بأمي أمام عيني وبي أمامها.

حديث شابة أرمنية

زرت يوماً أحد كبار المأمورين في ديار بكر وكان عنده شابة أرمنية تخدمه. وبعد أن ناولتنا القهوة وشربناها، أخذت الفناجين وذهبت. فقال لي ذلك المأمور: أتعلم ما تقول لي هذه البائسة أكثر الأوقات؟ فقلت ماذا تقول؟ قال: إنها تقول إن المأمورين والضباط والجند وجميع أهل ديار بكر حتى الأكراد الوحوش قد شبعوا من بنات الأرمن. فهل يترك الله تعالى لكم هذه الأفعال. عفواً، ولأن ترك قتل الرجال وفضيحة النساء فإنه لا يهمل مجازاة الذين أمروا بقتل هؤلاء الطفال الذين قتلوا ظلماً وعدواناً.

جزاء استمار

كان الأتراك جمعوا الذين هم بسن الجندية وفرقوهم على التوابير ليكملوا خدمتهم العسكرية. ولما قررت الحكومة إبعاد الأرمن وإهلاكهم كما بينت ذلك في بيانها الرسمي، أمرت قوادها بأن يجعلوا الأرمن الموجودين في الجيش توابير على حدة ويشغلوهم في الطرق وفي أعمال البلدية. فشكلت الحكومة منهم توابير أرسلتها للشغل في الطرق وفي الأعمال الشاقة الأخرى وقد شغلتهم الحكومة مقدار ثمانية أشهر في تلك الأعمال إلى أن بدأ الشتاء بأمطاره ورياحه المزعجة. ولم تقدر الحكومة التركية أن تستفيد منهم فأرسلتهم من أرضروم وطربزون وتلك المحال البعيدة إلى ديار بكر، الذي سماها أحد المنفيين قلعة الدماء. وقبل وصولهم أبرق القواد أن الجنود الأرمن توجهوا لديار بكر فأرسلت حكومة ديار بكر دركها مزودين بكثير من خراطيش البنادق لاستقبال هؤلاء التعساء. فكان

أفراد الدرك تستقبلهم رمياً بالرصاص. وكان آخر الأرمن الذين جيء بهم من هذا القبيل 840 شخصاً أتلفوا رمياً بالرصاص بالقرب من ديار بكر.

قافلة نساء

كنت جالساً في دكان في سوق ديار بكر إذا رأيت كثيراً من أهالي ديار بكر ذاهبين لخارج السور. وكان اثنان من أطباء المستشفى العسكري بديار بكر جالسين معي في الدكان، فسألنا عن الأمر فقيل لنا أن قطيعاً من النساء الأرمنيات جاءت وهن خارج السور وسترسلهن الحكومة كما أرسلت القوافل التي قبلها، وهم ذاهبون لكي يأخذوا منها بنات خادمات إذا أعجبهم منهن أحد. فقال أحد الأطباء لماذا لا نأخذ عشرين امرأة ممرضة للمستشفى ويخدمن. فاستحسن رفيقه هذا الأمر وذهب أحدهم وبعد مدة سألته فعلمت أنه أخذ المقدار الذي قال له عنه. وهكذا كان نصيب النساء الأرمنيات النهب كما تنهب العجماوات. ومن زاد عن الحاجة منهن فإلى القتل مصيره.

يبيت ليلة بخمسين ليرة

إن أكثر من أظهر فعالية في إتلاف الأرمن هو رشيد بك، والي ديار بكر. وقد نقلنا مقدار ما قتل داخل ولايته. ولما جاء خبر عزله عن ولاية ديار بكر، فرح البقية الباقية من الأرمن وسرَّ جميع المسيحيين هناك. وكان بعض الأرمن اختفوا. وبعد شيوع عزل الوالي بقليل ظهروا من مخبأهم وبدأوا يتجولون في الأسواق. وأراد الوالي أن يخفي حقيقة عزله ويلقي الرعب في القلوب، فبدأ بنفي الأرمن بشدة زائدة، فعاد للاختفاء الأرمن الذين أظهروا أنفسهم. وقد قال أحد الأشراف بديار بكر إن أحد الأرمن دفع خمسين ليرة عثمانية لأحد أهل ديار بكر ليخفيه في داره ليلة واحدة أي ليلة سفر الوالي، وقد قص علي آخر أن أرمنياً قال له أنه يدفع له ثلاث ليرات عثمانية كل ليلة إلى أن يذهب الوالي فخاف من الحكومة ولم يقبله في داره.

عفة الأرمنيات

روى لي أحد المأمورين قال إنه رأى سفينة مشحونة ببنات الأرمن. فجاء لعندهن. وقال لهن إنه يريد تخليص واحدة منهن. فقلن له أن التي تتخلص منهن مستعدة لتقديم مقدار من الدراهم هدية له. فأجابهن أنه يريد شابة تكون مستعدة لخدمته وملاذه فأجبنه. أما للخدمة أينا تريد فإننا بخدمتك وأما الأشياء التي تمس شرفنا فإننا نفضل الموت ولا نقبلها. ولم تقبل واحدة منهن بالذهاب معه. وبعد مدة وجد عند أحد أفراد الدرك شابة أرمنية فأخذها لداره وبدأت تخدمه بكل اعتناء وتغسل ثيابه وثياب عائلته وتكوي له ولعائله جميع ثيابهم. وصادف أنه سكر وجاء لداره متأخراً فوجد عائلته قد رقدت والأرمنية لم تزل تنتظره كي لا تقصر في خدمته وعندما دخل لحجرته وأعانته على خلع ثيابه. وقال، وأمرتني نفسي والنفس أمارة بالسوء أن أفعل معها أمراً منكراً وقدمت لأقبلها فنفرت مني قائلة: إنني اليوم ضعيفة وأعد ملتجئة إليك وأنني أعرف جيداً أنك ذو عفة وأن الذي ساقك لإظهار السوء نحوي ليست هي إلا

الخمرة التي شربتها، فإنني أرجوك أن تقتلني ولا تكلفني بأمر يمس بشرفي ويدنس ثوب العفاف مني فإنني لا أريد أن أعيش بدون شرف وعفاف فتركها ولم يقدر أن ينال منها إربه.

ثلاث نساء أرمنيات يلقين بأنفسهن في نهر الفرات

حدثني أحد عرب العقيدات قال: كنت سائراً على شط الفرات بقرب دير الزور إذ رأيت بعض السفهاء من الرعاة يسلبون امرأتين ثيابهما حتى أنهم أخذوا لباس هاتين الامرأتين التعيستين، فلم يردوا عليَّ وكان أهلي بعيدين عني ولم أقدر أن أعطيهم ثياباً فنادتا هؤلاء الرعاة بقولهما (خيوه الله) وكانتا تشيران بيديهما نحو السماء تريدان أن تقولا لهؤلاء الرعاة أما تستحون أو تخافون من الله ولما لم يصغ هؤلاء إليهما رمتا بنفسهما في الفرات مرجحتان الموت على حياة الذل والهوان. وحدثني عن امرأة أخرى لها طفل يرضع على يديها كانت تسأل في الدير وتطلب من الناس ما

يسد رمقها فلم يمد لها أحد يد المعونة، خوفاً من الحكومة وباتت ليلتين على ما قيل لا تأكل شيئاً وثالث يوم لما لم تجد أحداً يجود لها بشيء رمت طفلها في سوق الدير وذهبت وألقت بنفسها في ماء الفرات وماتت غريقة مفضلة الموت على حياة الهون والشقاء وهكذا أظهرن أخلاقاً وشرفاً وشجاعة لا توجد في كثير من الرجال.

الخادمات في ديار بكر

إنك لا تدخل في دار في ديار بكر إلا وتجد من الخادمة إلى الخمس خادمات من بنات الأرمن في تلك الدار وكنت ترى أحقر الباعة أصبح عنده خادمة أرمنية. وربما كانت تلك الأرمنية في حياة والدها وأمها لا ترضى أن تكلم ذلك البائع كلاماً، دع عنك خدمته ولجنَّ ما رأته من الأهوال جعلتها تخدمه قسراً عنها وحفظاً لحياتها. وقد قيل إن مقدار النساء والبنات الخادمات في ديار بكر يربو على الخمسة آلاف وأكثرهن من بنات الأرمن في أرضروم وخربوط والولايات الأخرى.

حديث شاهين بك والشابة الأرمنية

وقد حدثني المدعو شاهين بك أحد أهالي ولاية ديار بكر وكان مسجوناً معنا، قال إنه كان سلم إليه نساء ورجال من الأرمن ليقتلهم لأنه كان جندياً. قال، وبينما نحن سائرين رأيت شابة أرمنية كنت أعرفها وكانت بارعة في الجمال. فقلت لها يا فلانة تعالى أخلصك وتتزوجين بأحد الشباب من أهل بلادك الأكراد أو الأتراك، فلم تقبل وقالت له إذا كنت تعزني وتريد رضاي فإنني سأطلب منك حاجة تقضيها لي. فقلت لها إنني حاضر لقضاء أي حاجة تطلبينها. فقالت إن لي أخاً بين هؤلاء الرجال وهو أصغر مني سناً فإنني أرجوك أن تقتله قبلي حتى لا أموت وأنا مشغولة الفكر من جهته وأرتني إياه فناديته فجاء لعندي وقالت له، أيها الأخ إنني أودعتك الله فتقدم إلي آخذ منك آخر قبلة وإننا سنلتقي إن شاء الله في الآخرة وسيأخذ الحق انتقامنا في القريب العاجل ممن ظلمنا، وقبلته في خديه وقبلها أخوها

وسلم نفسه لي فلم يسعني إلا الإطاعة لأمرها فضربته ضربة واحدة بفأس كان بيدي طيرت مخه ووقع جسداً بلا روح، فقالت لي إنني أشكرك من صميم فؤادي أرجوك إتمام معروفك ووضعت يديها على عينيها السوداوين وقالت اضربني ضربة مثل التي ضربتها لأخي ولا تعذبني فضربتها ضربة أودت بحياتها بأسرع ما يمكن وإنني إلى الآن آسف على جمالها وشبابها وأعجب من شجاعتها وجسارتها.

إكساء الأرمن عمائم وطرحهم في الطريق وأخذ صورهم وإرسالها لأسطنبول

فكّرت الحكومة التركية أن حكومات أوروبا ستأخذ خبر هلاك الأرمن وتنشره في جميع أنحاء البلاد بقصد استمالة الأفكار ضد الأتراك. فبعد أن قتل دركيتها مقداراً من رجال الأرمن أكسوها عمائم وجاءوا بنساء كرديات جعلن ينحبن عليهم ويكثرن من البكاء والعويل ويقلن أن الأرمن قتلوا رجالهن وقد جاءوا بمصور أخذ صور

النساء النائحات ليقنعوا أوروبا في المستقبل أن الأرمن هم الذين اعتدوا على الأكراد وقتلوا رجالهم. وقام جميع عشائر الأكراد على الأرمن وقتلوهم انتقاماً ولم يكن للحكومة التركية دخل في قتل الأرمن.

ولكن لم يخف سر هذه الأعمال على ذوي البصائر والعقول فإنهم عقب إكساء الأرمن عمائم وأخذ صورهم فهموا حقيقة الأمر وأذاعوها في ديار بكر.

عندما شرعت الحكومة في إتلاف الأرمن راجع بعض نساء الأرمن مفتي ديار بكر وقاضي الشرع فيها وأظهرن ميلهن للدخول في الدين الإسلامي فقبل إسلامهن وتزوجن برجال من أهل ديار بكر الأتراك أو الأكراد.

حديث الوالي والمفتي

وبعد مدة بدأت الحكومة بجمع هذه النساء فذهب المفتي والقاضي لعند الوالي وقالوا له أن النساء التي تجمعها الحكومة قد أصبحن مسلمات ولسن أرمنيات وقتل

المسلمات لا يجوز شرعاً. فأجابهما الوالي أن هؤلاء النسوة أفاعي يلدغننا في المستقبل. والسياسة ليس لها دين فلا تعارضا الحكومة بهذا الخصوص فالحكومة تعرف شغلها. فرجع المفتي والقاضي من حيث أتيا. وأرسلت تلك النساء إلى القتل. وبعد عزل الوالي من ديار بكر من أجل سوء الاستعمالات التي قيل أنها أجريت أثناء بيع الأشياء المتروكة في دور الأرمن ومخازنهم جاء أمر بأن يقبل على اعتناق الدين الإسلامي بعض رجال ونساء من الأرمن. الذين تركوا ذلك خوفاً على حياتهم ولكنهم سيقوا بعد مدة كغيرهم ولم يخلصهم الإسلام.

الألمان والأرمن

كنت كلما صار البحث عن الأرمن ألوم الأتراك على عملهم. ويوماً بينما كنا نتكلم بهذه المسألة ونلوم الأتراك إذ قال أحد مأموري ديار بكر وهو أحد شباب الأتراك المتعصبين لجنسيتهم: لا لوم على الأتراك من هذه المسألة فإن الألمان هم من طبَّق هذه المعاملة على البولونيين الذين هم

تحت حكمهم وقد أجبر الأتراك على هذا العمل الألمان إذ أنهم قالوا للأتراك إذا لم تقتلوا الأرمن فإننا لا نتفق معكم وهكذا كانت تركيا مضطرة بعملها هذا.

هذا ما قاله الرجل التركي نقلناه ولم نزد عليه حرفاً. وقد تحقق عندي ذلك لما تخطرت قصة قصها علي أحد الأتراك الذي كان مسجوناً معنا في عاليه (جبل لبنان) بتهمة مخابرة مع عبد الكريم الخليل. وقد قال لي ذلك التركي أنه مرّ على دمشق وزار وكيل قنصل ألمانيا فيها فأسرّ له أن (اوبنهايم) جاء بمأمورية خاصة وهي تشجيع جمال باشا على الإيقاع بالعرب لأجل إلقاء النفور بين الأمتين ليستفيدوا من العرب إذا خالفهم الأتراك في المستقبل وكانت هذه القصة قبل شنق عبد الكريم الخليل بمدة وجيزة.

قتل القائمقامين

لما أعطي الأمر من قبل الحكومة بديار بكر للعمال بقتل الأرمن، كان أحد أهالي بغداد قائمقاماً في قضاء (البشيري) داخل ولاية ديار بكر. وكان أحد الأرناؤوط قائمقاماً في قضاء (ليجة) في تلك الولاية. فأبرقا للولاية أنه لما كان ضمائرهما لا يقبلان أعمالاً كهذه فإنهم يستقيلان من وظيفتهما. فقبلت استقالتهما ولكنهما قتلا في الطريق سراً، وقد تحققت الأمر جيداً فوجدت أن العربي البغدادي يسمى ثابت بك السويدي، ولم أقدر أعرف اسم الأرناؤوطي ويا للأسف لا أذكر لهما عملاً لأن عملهما يدلان على وجدان طاهر وحمية شماء تخلد بهما اسماً في بطون التاريخ.

افتخار أحد القضاة بقتل الأرمن

بعد قتل قائمقام بشيري فوضت وكالة القائمقامية لقاضي الشرع فيها وهوي تركي الأصل. فكان يحكي لأناس عندما كان في ديار بكر، في أحد الأيام وكنت في ذلك المجلس فقال إنه قتل أربعة من الأرمن بيده وقد وجدهم شجعان لا يهابون الموت، وقد قص هذه القصة إقراراً بشجاعة الأرمن وافتخاراً بشجاعته.

أرمني يخون أمة

كان في ديار بكر أرمني يسمى سيمون أو (جيمون) وكان خادماً عند قزازيان، أغنى رجل في ديار بكر. وعندما رأى أن الحكومة بدأت بجمع الأرمن وإتلافهم، ذهب لعند رشدي بك قائد الدرك وبطل رواية الأرمن، وجعل

يفسر له على أبناء جنسه ويدله على المحلات التي اختفى بها بعض الأرمن أو خبأوا بها بعض أمتعة وفرش ثمينة. وقد رأيته يتجول في أزقة ديار بكر عظمة ووقاحة كأنه رجل عظيم قد أحيا أمته وأعاد ما درس من معلمها فمثل هذا الرجل يجب أن يقتل أشنع قتلة ليكون عبرة لمن حذا حذوه من ذوي النفوس الدنيئة والطبائع السيئة ولا من المنافقين الذين يؤثرون إبادة أمتهم برمتها ليحيوا هم حياة ذليلة رذيلة، حقيرة.

أمر سلطان

لما كنت في السجن، كان يأتي أحد قوميسيرية البوليس وهو من الأتراك لعند أحد أصحابه المسجونين. وكنت يوماً جالساً أنا وصاحبه في غرفتنا في السجن إذ جاء ليزور صاحبه وبدأنا البحث عن الأرمن وما حلَّ بهم، فجعل القوميسير يشرح لنا كيف كان هو يقتل من الأرمن وأن كثيراً منهم التجأوا لمغارة خارج سور المدينة (ديار بكر).

فـذهب وأخـرجهم وقتـل مـنهم شخصـين. فقـال صـاحبه: أمـا تخـاف اللّه ومـن أيـن يحـق لـك أن تقتـل النفس الـتي حـرَّم اللّه قتلها. فأجابه أنه أمر السلطان وأمـر السـلطان مـن أمـر الـرب وتنفيذه فرض.

إحصاء الأرمن الذين قتلوا أو ماتوا

في أواخـر أغسـطس سـنة 1915 زارنـي في السـجن أحـد رفاقي في ديار بكـر، وكـان من أعز أصدقاء أحد الموكلين بقتـل الأرمـن ومـن حـديث إلى حـديث انتقلنـا لمسـألة الأرمـن. فقال إنه لحدّ هذا التاريخ أتلف مـن الأرمـن داخـل ديـار بكـر فقـط (570.000) خمسـمائة وسـبعون ألـف نفـس وهـم مـن أهالي الولايات الأخرى من ديار بكـر فإذا أضفنا الذين قتلوا في الشـهر الـتي بعـدها ومقـدارهم 500.000 تقريبـاً. والـذين اتلفوا في ولايتي بتليس ووان ولواء موش وهم 230.000 تقريباً والـذين أهلكـوا في ولايـات أرضـروم وخربـوط واسـطنبول وطرابـزون وأدنـة وبروسـة والرهـا (أورفـه) والزيتـون وعنتـاب،

ويقدرون نحو (350.000) ثلاثمائة وخمسين ألف. وجدنا أن مقدار ما قتل من الأرمن ومات بالأمراض والجوع والعطش (2.200.000) مليونان ومئتي ألف نسمة. فيبقى من الأرمن في ولاية حلب والمبعدين لسوريا ولدير الزور وفي البلاد الأخرى مثل أمريكا، مصر وغيرها (300.00) ثلاثمائة ألف. ويبقى الـ(400.000) أربعمائة ألف الذين هم في الروم ايلي التي استولى عليها دول البلقان. فيكون المجموع: (2.900.000) مليوناً وتسعمائة ألف. هذا ما قدرت أن أفهمه عن إحصاء الأرمن المقتولين. وقد قرأت عنهم للمقطم جملة أثبتها في كتابي كما يأتي:-

حالة الأرمن

قال مكتب الطان من بال أن التقارير التي وردت من حلب في أوائل 1916 تؤيد وجود 492 ألف أرمني من المنفيين في جهات الموصل وديار بكر وحلب ودمشق ودير الزور.

وقد قدر طلعت بك وزير الداخلية العثمانية عدد الذين نفوا من الأرمن بثماني مائة ألف نسمة، وقال أن ثلاث مئة ألف منهم نقلوا أو ماتوا في خلال الأشهر الأخيرة.

وقد جاء في إحصاء آخر أن عدد المنفيين من الأرمن (1.200.000) نسمة وأن الذين قتلوا في منافيهم خمسمائة ألف نسمة على الأقل (المقطم 30 مايو سنة 1916 نمرو 8270).

عشائر العرب والأرمن

لما قربت من ديار بكر مررت بعشائر كثيرة من العرب فرأيت عندهم كثيراً من الأرمن رجالاً ونساء وهم يحسنون إليهم. ومع أن الحكومة تنشر بين العشائر أن قتل الأرمن فرض، فإنني لم أسمع أن أحد من عشائر العرب قتل أرمنياً. مرّ بعض العربان على بئر فوجدوا نساءً وأطفالاً ألقوا في ذلك البئر منه وهم على آخر رمق من الحياة فأخذوهم معهم وعالجوهم إلى أن شفوا عندهم.

العرب والسائلة الأرمنية

قص علي أحد أهل بغداد، وكان جندياً راجعاً من أرضروم قال مررت بديار بكر وجلست في القهوة أحد الأيام فرأيت امرأة أرمنية تتسول وكلما جاءت لعند رجل يبصق في وجهها ويسبها فأخذتني الغيرة على هذه الامرأة ولم أعرف إن كانت أرمنية أم لا. فقلت لهم: أما تخشون من الله، تشتمون امرأة ضعيفة فقيرة، فإن كنتم لا تريدون إعطاءها مقداراً من الدراهم، فقال الحضور إنها أرمنية والحكومة تغضب على من يتصدق عليها، وقد أمر السلطان بقتلها وقتل جميع أبناء جنسها. فلم أصغ لهذه الترهات وأعطيتها ما قدرت عليه ونهضت من هناك.

الخلاصة

إذ سألت الحكومة التركية عن أسباب قتل رجال الأرمن ونساءهم وأطفالهم وإباحة أعراضهم واستحلال أموالهم أجابت إن هذه الأمة قتلت المسلمين في ولاية وان. وإنه ظهر عندها أسلحة ممنوعة وقنابل منفجرة وعلائم تشكيلات دولة أرمنية، كريات وأمثالها وكل ذلك يدل على أن هذه الأمة لم ترجع عن غيها وإنها عندما تسنح لها الفرص تحدث شغباً وتقتل المسلمين وتستعين بدولة الروس عدوة الدول العثمانية على متبوعتها. هذا ما تقوله الحكومة التركية وإنني قد تشبثت الأمر من مصادره وسألت من أهل وان ومن مأموريها الذين كانوا موجودين في ديار بكر، هل قتل الأرمن أحداً من المسلمين في مدينة وان أو في ملحقاتها؟ فقالوا، كلا بل إن الحكومة أمرت أهل المدينة أن يفارقوها قبل وصول الروس إليها وقبل أن يحدث شيء أو يقتل شخص ما، ولكن الحكومة طلبت من الأرمن تسليم السلاح فلم يسلموها خوفاً من هجوم الأكراد عليهم وخوفاً

من الحكومة. وقد طلبت الحكومة أيضاً أن يسلم زعماء الأرمن ووجهاءهم للحكومة بمقام رهائن، فلم يقبل الأرمن.

كل ذلك كان عندما تقدم الروس نحو مدينة وان وتقربهم منها، وأما في اللحقات، فقد جمعت الحكومة جميع الأرمن وساقتهم للداخل فقتلوا جميعاً، ولم يقتل أحد من مأموري الحكومة ولا من الأكراد ولا من الأتراك.

وأما في ديار بكر، فقد قرأتم في هذا الكتاب بدء المسألة ولم يحدث أمر صغير دع عنك مسائل قتل أو إخلال أمن يخول للحكومة التركية معاملة الأرمن بهذه المعاملة الجائرة الفظيعة.

وأما في اسطنبول فلم نسمع أن الأرمن جاءوا بشيء مخالفاً للقوانين وأنهم أقدموا على قتل أحد إلا رواية ضعيفة عن عشرين فدائي نقلنا قصتهم في كتابنا، ولم يحدث الأرمن أقل حادث لا في ولاية أرضروم و لا في كل من ولايات خربوط وطربزون وسيواس وأظنة وبتليس ولا في لواء موش.

وقد نقلنا مسألة الزيتون ذات بال ومسألة الرها (أورفة) فقد جرت بقصد المدافعة عن أنفسهم إذ أنهم رأوا ما حل بأمتهم فرجحوا الموت على التسليم.

وأما تشكيلات الأرمن ورياتهم وقنابلهم وما شابه ذلك فهذا أمر لو فرضنا أن بعضه صحيح فلا يكون جزاءه إتلاف جميع الأمة الأرمنية رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً. فهذا المسلمين ثالثاً إذ أن الذين ليس لهم علم بحقيقة المسألة سيحملونها على تعصب في الإسلامية والمسلمين.

ويكفينا أن نرى لمن يدعي ذلك ما فعله شباب الأتراك الأغرار من المظالم والقتل بحق الإسلام في سوريا والعراق، وقد صلبت في سوريا أهم رجالها المفكرين بدون ذنب كشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك الإنكليزي وسليم بك الجزائري والأمير عمر الحسيني وعبد الغني العريسي وشفيق بك المؤيد ورشدي بك الشمعة وعبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل والأمير عارف الشهابي والشيخ أحمد حسن طباره وأكثر من ثلاثين زعيماً أمثالهم.

وقد جئت بهذا الكتاب لدحض سلفاً ما يقوله المتقولون ويتخرص به المتخرصون على الدين الإسلامي والأمة الإسلامية وأثبت أن ما فعل بالأرمن إنما هو راجع على رجال جمعية الاتحاد والترقي الذين يديرون دفة الدولة التركية. وقد فعلوه تعصباً لجنسيتهم وحسداً منهم ليس إلا. وإن الدين الإسلامي براء من أفعالهم.

علمنا ما قرأه ما تقدم أن الأرمن لم يأتوا بأمور تخوِّل للأتراك مجازاتهم بهذا الجزاء الفظيع الذي لم تقدم عليه أمة حتى في القرون المظلمة. فما هو السبب الذي ساق رجال الحكومة التركية على قتل أمة برمتها. وكانوا يقولون إن الأرمن إخوانهم في الوطنية وإنهم هم العضو المهم الذي نمى لشل حكم عبد الحميد الاستبدادي ولاسترداد الدستور العثماني، وهم الذين قالوا إن الأرمن صدقوا الدولة التركية في حرب البلقان وحاربوا مع الأتراك جنباً لجنب، وقد صادق رجال الحكومة التركية ورضوا بتشكيل جمعيات سياسية للأرمن ولم يرضوا ولم يصادقوا بتشكيل جمعيات للأمم الأخرى.

إذاً ما هو السبب في هذا الانقلاب الفجائي؟

إن السبب هو أن الاتحاديين كانوا ينفرون من الحكم الاستبدادي قبل إعلان الدستور، وكانوا ينشرون مساوئ الحكم. وذاقوا حلاوة الرئاسة، ووجدوا أن خير واسطة تجعلهم في وسعة من العيش ورفاهية من الحياة، وتمكن الأتراك دون غيرهم من حكم الأمم العثمانية هو الحكم

الاستبدادي. وقد فكروا في الأمم العثمانية فلم يجدوا على ظنهم أن أمة من الأمم العثمانية تقدر أن تنكر عليهم الاستبداد وترضى به وتحاربهم كما حاربت عبد الحميد من قبلهم إلا الأمة الأرمنية. وقد رأوا أيضاً أن الأمة الأرمنية قد استأثرت بالصناعات على جميع الأمم العثمانية. وهي أرقى بعملها وجمعياتها وسيكون بعد ذلك ضباط الجيش من أبناء الأرمن فدهشوا من ذلك وخافوا كثيراً من عاقبة الأمر وعرفوا ما هم عليه من الضعف وإنهم لا يقدرون أن يجاروا الأرمن في ميادين العلم والرقي فلم يجدوا واسطة للخلاص منهم إلا إتلافهم. وقد وجدوا وقت الحرب أحسن فرصة للتخلص منهم، فأقدموا على هذا الأمر الفظيع وأجروه بكل وحشية وهو أمر مخالف للشريعة الإسلامية، والنصوص فيه كثيرة والشواهد التاريخية ليست بقليلة.

والآيات المنيفة: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً... ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق﴾ الأنعام.

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً.... ﴾ الإسراء.

﴿وعباد الرحمن..... ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق.... ﴾ الفرقان.

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر.... " البقرة.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. الأنعام.

﴿إن الذين يكفرون بآيات الله.... ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم...﴾ آل عمران.

﴿ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً..." المائدة.

﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس... ﴾ المائدة.

الأحاديث الشريفة حدثنا قيس بن حفص... عن النبي ﷺ أنه قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس" البخاري جزء 8 صفحة 36.

"حدثنا أحمد بن يونس أخبرنا الليث عن نافع أن عبد الله ﷺ أخبره أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فنهى رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان" بخاري جزء 4 صحيفة 21.

"حدثنا اسحق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة حدثكم عبد الله عن نافع ابن عمر رضي الله عنهما قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان".

"حدثنا... إلخ قال رسول الله ﷺ أمرتكم أن لا تحرقوا فلاناً وأن النار لا يعذب بها إلا الله.. إلخ".

"حدثنا موسى بن إسماعيل... عن عمر رضي الله عنه قال: وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى بعدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقاتهم". بخاري جزء 4 صحيفة 31.

"ذمة المسلمين واحدة. فمن خفر مسلماً فعليه مثل ذلك". بخاري جزء 4 صحيفة 67.

وقد كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأحد قواده ما يأتي. إذا سرت في جيشك فلا تعنّف أصحابك في السير ولا تغضبهم وشاور ذوي الآراء منهم وإذا لقيتم العدو زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً للقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله وإذا ظفرتم

بعدوكم فلا تقتلوا شيخاً و لا امرأة ولا طفلاً ولا تحرقوا زرعاً ولا تذبحوا دابة إلا ما يلزمكم للأكل وستجدون رهباناً في الصوامع ترهبوا الله فدعوهم وما ارتضوا به لأنفسهم ولا تقتلوهم ولا تهدموا جوامعهم والسلام".

وقد طلب السلطان سليم الأول العثماني من شيخ الإسلام فتوى بإخراج المسيحيين من الرومالي أو يسلموا. فلم يقبل منه لأن هذا الطلب مخالف للشريعة الإسلامية، وقد أمر أيضاً السلطان إبراهيم العثماني بقتل جميع المسيحيين داخل البلاد العثمانية فلم يفلح، ثم عدل أوامره بقتل الإفرنج فقط، فلم يقبل شيخ الإسلام في ذلك الحين إذ أن هذا الأمر لا يوافق الشريعة الإسلامية. (هكذا كان رجال الدولة العثمانية لما كانوا يطبقون حركاتهم على الشريعة الإسلامية الصحيحة).

أبعد هذا كيف يحق لرجال الحكومة التركية في هذا الزمان قتل أمة برمتها رجالاً ونساءً وشيوخاً وشباباً وأطفالاً، وقد دفعوا جميع ما رسمته الحكومة العثمانية عليهم من رسم الميري وأعشار وتمتع وبدل نقدي وعسكري وغيرها ولم يعصوا في أمر.

فلو فرضنا محالاً أن رجال الأرمن جديرون بأن يقتلوا، فما ذنب النساء والأطفال، وما هو جزاء من قتلهم بغير ذنب وما جزاء من أحرق النفوس البريئة؟

إنني أجد اليوم أن الأمة الإسلامية مضطرة للمدافعة عن نفسها لأنه إذا لم يوضح لأوروبا حقيقة الأمر لعدَّ الأوروبيون هذا الفعل نقطة سوداء في تاريخ الإسلام لا يمحوها الدهر.

ومن هذه الآيات والأحاديث والشواهد التاريخية ظهر للملأ أن عمل رجال الحكومة التركية مخالف لأحكام الدين الإسلامي تمام المخالفة وحكومة تدعي أنها حامية الإسلام وحكومة تخالف الشريعة الإسلامية ليست بحكومة إسلامية ولا يحق لها أن تدعي ذلك.

وعلى المسلمين أن يتبرأوا من هذه الحكومة وأن لا ينقادوا إلى حكومة تدرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتأمر بقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ الذين لا ذنب لهم. وإلا عدواً شركاء بهذه الجناية التي لم يخبر التاريخ عن مثيلها.

وبعد هذا فإنني أوجه كلامي لدول أوروبا وأقول إن الذي شجع الحكومة التركية على هذا العمل هي دول أوروبا نفسها. إذ أنها علمت سوء إدارة الحكومة التركية وأفعالها البربرية في أوقات كثيرة فلم توقفها عندها.

انتهى تبييض هذا الكتاب في 4 ذي القعدة سنة 1334 و3 سبتمبر سنة 1916 في مدينة بومباي (الهند).

المحتوى

مقدمة بقلم حكمت إبراهيم هلال.....5
كلمة المؤلف.....9
تاريخ الأرمن مختصراً.....13
عدد الأرمن.....14
جمعيات الأرمن.....15
المذابح الأرمنية.....17
بيان الحكومة العثمانية.....19
كركور زهراب ووارتكس.....27
طلب الفدية.....30
طفل في القفر.....33
ديكران 39
أغوب قايطانجيان 40
رفقتي في الطريق 43
بيع المكاتيب.....44
قتل البروتستان والكلدان والسريان 45
حماية الأكراد للأرمن بالأجرة 47

سوق الأرمن للقتل.....47
بيع متروكات الأرمن وإنزال الصليب عن كنائسهم.....49
أنواع القتل والإتلاف.....51
وحشية أفراد الدرك وعشائر أكراد 53
ماذا يفعل الأكراد 54
أسنان الذهب.....55
أحد أغوات الأكراد يقتل خمسين ألفاً من الأرمن 55
فض بكارة النساء قبل الموت وبعده 56
بارصوم آغا 57
حديث أحد شباب الأتراك وكان قد جاء معلماً لديار بكر 59
حديث أحد مديري النواحي عن طفل أرمني 60
حديث شوكت بك عن طفلة أرمنية.....61
حديث محام مع طفلة أرمنية 63
حديث متصرف مع بنت أرمنية.....64
حديث شابة أرمنية.....65
جزاء استمار 66
قافلة نساء 67
يبيت ليلة بخمسين ليرة.....68
عفة الأرمنيات 69

ثلاث نساء أرمنيات يلقين بأنفسهن في نهر الفرات 70
الخادمات في ديار بكر.....71
حديث شاهين بك والشابة الأرمنية.....72
إكساء الأرمن عمائم وطرحهم.....73
في الطريق وأخذ صورهم وإرسالها لأسطنبول 73
حديث الوالي والمفتي 74
الألمان والأرمن 75
قتل القائمقامين 77
افتخار أحد القضاة بقتل الأرمن 78
أرمني يخون أمة.....78
أمر سلطان.....79
إحصاء الأرمن الذين قتلوا أو ماتوا.....80
حالة الأرمن 81
عشائر العرب والأرمن.....82
العرب والسائلة الأرمنية 83
الخلاصة 84

إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة - فؤاد الشايب - د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	ياليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة -خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
	أخرى			
30	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عذبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان في القصة السورية (حضور المكان)-علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمالي ــ مختارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبير سلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
43	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
44	انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختارة	د. حسين جمعة	د. ابراهيم	2011

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
	ودراسات		الجرادي	
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية الساندة)	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثائرزين الدين	2011
49	مایاکوفسکي غیمة في سروال	مالك صقور	د. ابراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صقور	مالك صقور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صقور	مالك صقور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صقور	مالك صقور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صقور	2012
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صقور	2012
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2	مالك صقور	مالك صقور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
	عباس محمود العقاد			
61	كان ما كان ـ ميخائيل نعيمة	مالك صقور	مالك صقور	2012
62	إمـرأة مـن بـرج الحمـل ـ اعتـدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صقور	مالك صقور	2012
64	الأعاصير ـ الشاعر القروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائرزين الدين	2012
65	عبـد اللطيـف عقـل دراسـات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صقور	مالك صقور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
71	طبـائع الاسـتبداد ومصـارع الأستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صقور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقـه والتصـوف والمسـائل الشرعية في الخلافة	أ. محمد راتب الحلاق	مالك صقور	2013
76	ًصالح العلي ثائراً وشاعراً	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
79	الأديـــب والمفكـــر أبـــو حيـــان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
81	مديح الظل العالي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
82	معارك فكرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
83	واقعية بلا ضفاف	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
84	كيف تعلمت الكتابة	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
85	السيف والترس	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
86	بعث الأمـة العربيـة ورسـالتها إلـى العالم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
87	الغربال	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
88	الله	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
89	عصا الحكيم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
90	الفارابي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
91	الأدب الثوري عبر التاريخ	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
92	المسألة اليهودية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
93	مذكرات مستر همفر	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
94	صوت أبي العلاء	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015
95	فن الأدب (جزء 1)	مالك صقور	رضوان قضماني	2015
96	فن الأدب (جزء 2)	مالك صقور	رضوان قضماني	2015
97	الإسلام بين العلم والمدنية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
98	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2015

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
99	شظايا من عمري	شاهر أحمد ناصر	مالك صقور	2015
100	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
101	الدين والعلم والمال		مالك صقور	2015
102	غابة الحق (أفق التنوير وجماليات السرد)	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
103	في الحياة والأدب	نذير جعفر	د. نضال الصالح	2015
104	إن الأدب كان مسؤولاً	مالك صقور	د. نضال الصالح	2016
105	أسرة المرّاش الأدبية في حلب	د. نضال الصالح	عيسى فتوح	2016
106	الجوهر الرجعي للصهيونية	مالك صقور	مالك صقور	2016
107	سريال وقصائد أخرى	د. نـــزار بريـــك هنيدي	د. نضال الصالح	2016
108	حضارة الطين	إسماعيل الملحم	مالك صقور	2016
109	ضرورة الفن الجزء الأول	نذير جعفر	مالك صقور	2016
110	ضرورة الفن الجزء الثاني	نذير جعفر	مالك صقور	2016
111	قادة الفكر	فلك حصرية	مالك صقور	2016
112	جرائم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان	حكمـــت إبـــراهيم هلال	مالك صقور	2016
113	خارج الحريم	إسماعيل الملحم	مالك صقور	2016
114	عيسى عصفور (بلاغة البازلت)	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2016
115	رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني	د. نـــزار بنـــي المرجة	د. نضال الصالح	2017
116	(عمـلاء النفـوذ) وتفكيـك الاتحـاد السوفييتي	د. ناديا خوست	مالك صقور	2017